سَياكا مُوراتا
(الرواية الفائزة بجائزة أكوتاجاوا عام 2017)
عاملة متجر البقالة
ترجمة : محمد نجيب
مكتبة
أثر

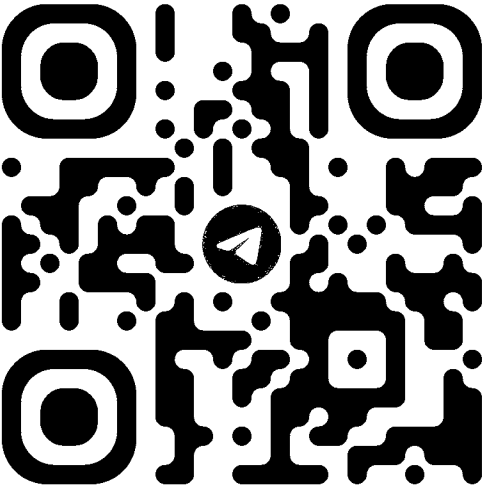

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

عاملةُ مَتجَرِ البِقَالةِ

عاملةُ مَتجَرِ البِقَالةِ / رواية
تأليف: سَياكا مُوراتا
ترجمة: محمد نجيب
ردمك: 978-603-91857-2-7
رقم الايداع: 1444/160

© 2016 Sayaka Murata

All rights reserved

أثر

دار أثر للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

تلفون: 00966549966668

الموقع الإلكتروني: www.darathar.net

البريد الإلكتروني: info@darathar.net

مكتبة
t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

عاملةُ مَتجَرِ البِقَالةِ

رواية

سَياكا مُوراتا

ترجمة

محمد نجيب

مكتبة
t.me/soramnqraa

مبادرة ترجم

أثر

متجرُ البقالةِ عالمٌ من الأصوات بدءًا بخشخشة أجراسِ الباب، وأصوات مشاهيرِ التلفاز وهم يروجون لمنتجات جديدة من خلال الشاشات المنتشرة في المتجر، مرورًا بصياحِ عمال المتجر وأزيز أجهزة الباركود،

وتزاحم الزبائن على شراء السلع ووضعها في السلّات، وانتهاءً بصوت ارتطام كعوب الأحذية التي تتجول في أرجاء المتجر. تجتمع تلك الأصوات جميعًا لتُشكل صوت متجر البقالة الذي لا يتوقف عن مداعبةِ طبلتي أذنيّ.

أسمع صوت خشخشة زجاجة بلاستيكية جديدة تتدحرجُ في مكانها بينما يُخرِج زبونٌ واحدة من الثلاجة. عادة يكون المشروب البارد هو آخر سلعة يشتريها الزبون قبل أن يتوجه إلى منضدة الحساب. يستجيب جسدي بشكل آلي لذلك الصوت. أرفع رأسي فألمح امرأةً تمسك بزجاجة مياه معدنية بينما تحدق في رفّ الحلويات قبل أن أعاود النظر إلى أسفل من جديد.

بينما أرتّب كرات الأرز التي تم توريدها حديثًا للمتجر في المكان المخصص لعرضها، يلتقط جسمي كل معلومة جديدة بناء على حدّة الأصوات المترددة في أنحاء المتجر. في هذا الوقت من اليوم تكون كرات الأرز والسندويتشات والسَلَطَات هي أكثر الأطعمة رواجًا. تقف سوجاوارا، عاملة بدوام جزئيٍّ مثلي، في الجانب المقابل من المتجر، تلصق الأسعار على السلع بجهاز تحمله في يدها.

واصلت صَفَّ أطعمة البريستين[1]، بنظام في ثلاجات العرض. أضع صفّين من النكهة الجديدة في المنتصف: بطارخ سمك القد الحارة مع جبنة

(1) البريستين: أطعمة معدة آليًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كريمية، بمحاذاة صفّين من النكهة الأكثر مبيعًا في المتجر: تونا بالمايونيز، قبل أن أصف الكاتسووبوشي (سمك التونة المدخن) الجاف بنكهة صوص الصويا بجوارها. السرعة شيء أساسيٌّ هنا، وقلما أستخدم عقلي لأن القواعد المحفورة بداخلي تلقي بالتعليمات مباشرةً إلى جسدي.

شدَّ انتباهي صوتُ رنينٍ خافتٍ لعملات معدنية فالتفتُ نحو منضدة الحساب. أذني حساسة جدًّا لهذا الصوت لأن الزبائن الذين يأتون إلى المتجر لشراء السجائر والجرائد فقط، يعبثون عادة بعملات معدنية في أيديهم أو جيوبهم. كنت محقّة. كما توقعت، رأيت رجلًا يحمل علبة مشروب قهوة مثلجة في يد واليد الأخرى في جيبه، يقترب من منضدة الحساب. تحركت بسرعة عبر المتجر، ووقفت أمام ماكينة النقود على أهبة الاستعداد كي لا يبقي الزبون منتظرًا.

«إيراشَيمسِي![1] صباح الخير، سيدي».

انحنيت، والتقطت علبة مشروب القهوة المثلجة التي ناولني إياها.

«أوه، كدت أنسى. وعلبة مارلبورو منثول.»

«حالًا، سيدي.» التقطت علبة السجائر، ومررتها على جهاز الباركود.

«رجاءً أكِّد عمرك على شاشة اللمس.»

بينما يفعل ما طلبته، لاحظت أنه يحدِّق في كابينة المأكولات الساخنة. كان بإمكاني سؤاله عن رغبته في أيِّ شيء آخر، لكن عندما يبدو زبون مترددًا بين شراء شيء أم لا، فإنني ألتزم الصمت، وآخذ خطوة إلى الوراء وأنتظر.

---

(1) إيراشَيمسِي: عبارة الترحيب المعتادة في المتاجر والمطاعم في اليابان. فضلنا الإبقاء على الكلمة كماهي لأنها تشكل جزءًا مهمًّا من عالم متجر البقالة وشخصية كيكو.

«وهوت دوج أيضًا.»

«حالًا سيدي.»

عقّمت يديّ بالكحول، وفتحت الكابينة وأخرجت هوت دوج.

«هل أضع الطعام الساخن والمشروب البارد في كيسين منفصلين؟»

«أوه، لا، لا تهتمّي. في كيس واحد.»

وضعت علبة مشروب القهوة المثلجة وعلبة السجائر والهوت دوج في كيس صغير. حتى تلك اللحظة كان الرجل لا يزال يعبث بالعملات المعدنية في جيبه لكن الآن حرّك يده نحو جيب قميصه كما لو أن شيئًا خطر بباله فجأة. استنتجت أنه قرر استخدام بطاقة الائتمان.

«سأدفع بالبطاقة الذكية.»

«بكل تأكيد، سيدي. رجاء مرّر البطاقة هنا.»

قرأت أدق حركات ونظرات الزبون بشكل تلقائي، واستجاب جسدي بسرعة. تعمل أذناي وعيناي مثل رادارات حساسة، تلتقط كل حركات ورغبات الزبائن. أُولِي أقصى درجات الاهتمام كي لا أتسبب في أي انزعاج للزبون عن طريق الملاحظة الدقيقة جدًّا لتعابير وجهه وجسده ثم تتحرك يداي بخفة وفقًا للإشارات التي ألتقطها.

«الإيصال، سيدي. شكرًا لتسوقك من هنا.»

«شكرًا.» قال وهو يلتقط الإيصال ويغادر.

«آسفة على إبقائك منتظرة.» قلتُ وأنا أنحني للسيدة التالية في الطابور، وأبدأ من جديد:

إيراشَيمسِي، صباح الخير»

تمر الفترة الصباحية بشكل طبيعي في متجر البقالة الساطعِ الإضاءة. يمكن رؤية ظلالِ المارة تسري في الطرقات من خلال الواجهة الزجاجية المُلمَّعة، والخاليةِ من بصمات الأصابع. أنه بداية يوم جديدٍ، الوقت الذي يستيقظ فيه العالم، وتبدأ تروسُ المجتمعِ بالحركة. أنا ترسٌ من تلك التروسِ، التي تدور وتدور من دون توقف. أصبحت جزءًا عاملًا من العالم. أدور في الوقت المخصص للدوران من اليوم الذي يدعى **النهار**.

كنت أسرع لوضع المزيد من كرات الأرز على الرف، عندما نادتني مشرفتنا مسز إيزومي.

«مسز فوروكورا، كم ورقة من فئة الخمسة آلالاف ين لا تزال في ماكينة النقود؟»

«اثنتان فقط.»

«أوه، حقًا؟ لابد أنَّ كثيرًا من الزبائن يدفعون أوراقًا نقدية من فئة العشرة آلالاف ين. لم يتبق الكثير من أوراق الخمسة آلالاف ين في الخزنة الرئيسية أيضًا. من الأفضل ان أذهب إلى البنك هذا الصباح، بمجرد أن تهدأ الزحمة وتنتهي التوريدات.»

«تمام، شكرًا لك.»

مسز إيزومي عاملة مؤقتة، لها نفس عمري تقريبًا. لكن لنقص العمالة في المناوبة المسائية مؤخرًا، صار مدير المتجر يشرف على المناوبة المسائية بينما كُلِفت مسز إيزومي بالإشراف على المتجر أثناء **النهار**. مسز إيزومي عضو دائم في مجلس إدارة المتجر، وأرسلها المقر الرئيسي للإشراف على العمل.

«تمام، سأذهب في العاشرة. وأثناء تفكيري في هذا الأمر، تذكرت أن

هنالك طلبية مخصوصة لإناري السوشي[1] سيستلمها الزبون اليوم لذا رجاء قابليه حين يأتي لاستلامها.»

«سأفعل!»

نظرت إلى الساعة. تكاد تبلغ التاسعة والنصف. توشك زحمة الصباح أن تنقضي، وعليّ الانتهاء من تسليم الطلبيات والاستعداد لذروة وقت الغداء. فردت ظهري، واستكملت وضع كرات الأرز في مكانها.

***

الوقت الذي سبق ولادتي الثانية كعاملة متجر بقالة يبدو غير واضح بشكل ما في ذاكرتي. ولدتُ لعائلة عادية، وربّاني والداي تربيةً حسنةً في منطقة سكنية في حيٍّ عادي. لكن كان يعتقد الجميع أنني طفلةٌ غريبةٌ مقارنة بالأطفال الآخرين.

على سبيل المثال، في مرة عندما كنتُ في الحضانة، رأيت طائرًا ميتًا في الحديقة. كان طائرًا أزرقَ صغيرًا وجميلًا. لابد أنه كان ملكًا لشخص ما. كان يرقد هناك على الأرض ورقبته ملتوية وعيناه مغلقتان. كان الأطفال الآخرون يقفون جميعًا حوله يبكون. ثم بدأت فتاة في السؤال: «ماذا يجب أن...» لكن قبل أن تتمكن من إنهاء السؤال، التقطتُ الطائرَ وركضتُ نحو الدكة التي كانت تجلس عليها أمي، تثرثر مع الأمهات الأخريات.

«ماذا هنالك يا كيكو؟ أوه! طائرٌ صغيرٌ... أتساءل من أين أتى؟» قالت بلطفٍ، وهي تربت على شعري.» يا له من مسكين! هل نعد له قبرًا؟»

---

(1) إناري السوشي: توفو مقلي (جبن نباتي من حليب الصويا مشهور في اليابان) محشو بأرز السوشي.

«دعينا نأكله!» قلتُ.

«ماذا؟!»

«بابا يحب الياكيتوري[1]، أليس كذلك؟ دعينا نشويه ونتناوله على العشاء!»

نظرت إليَّ بدهشةٍ. ظنت أنها لم تسمع ما قلته جيدًا. كررتُ ما قلته. هذه المرة تلفظتُ الكلمات بوضوحٍ. فغرت الأم الجالسة بجوار أمي فاهها، فشكَّل فمها المفتوح وعيناها ومنخاراها حرف (O) متقن. بدا منظرها كوميديًا لدرجة أنني كدت أنفجر ضاحكة. لكن رأيتها تحدق نحو الطائر في يدي، وأدركت أنها ربما تظن أنّ واحدًا من تلك الطيور الصغيرة لن تكفي لإشباع شهية بابا. ربما كانت محقة.

«هل أبحث عن طيور أخرى؟» سألتُ وأنا أحدق تجاه طائرين أو ثلاثة تسير مختالة حولنا.

«كيكو!!» صاحت أمي بنبرة تأنيب بعد أن استعادت رباطة جأشها. «دعينا نُعد قبرًا لمستر بادجي[2] وندفنه. انظري، الجميع يبكي. لابد أن أصدقاءه حزانى على موته. الكائن الصغير المسكين!»

«لكنه ميت! دعينا نأكله!»

ألجمت كلماتي لسان أمي، لكن كانت تخيلاتي لوالدي وأختي الصغيرة

---

(1) الياكيتوري: تعني حرفيًا الطير المشوي وهي وجبة يابانية تتكون من دجاج مشوي على أسياخ خشبية.

(2) بادجي أو الدرّة: يعرف عند عامة العرب بـ«عصفور الحب»: هو أحد أنواع الببغاوات الصغيرة الحجم طويلة الذيل. وهو طائر إذا حبسته في قفص يكتئب وينعزل لكن في البرية محب للطبيعة وكثير التنقل.

وهما يجلسان حول طاولة العشاء لتناول الياكيتوري تستحوذ على عقلي. يقول أبي دائمًا كم أن الياكيتوري لذيذ، ثم ما الهدف من هذا الطائر الميت سوى أن يُشوى ويُؤكل؟ كان هنالك المزيد في الحديقة، لذا كلّ ما علينا فعله هو اصطياد البعض وأخذها إلى البيت كي نأكلها. لم أفهم لماذا علينا دفنُ الطائرَ بدلًا من أكله.

«انظري كم يبدو لطيفًا مستر بادجي الصغير!» قالتْ أمي بلهجةٍ جادةٍ. «دعينا نحفر له قبرًا هناك حيث يمكن للجميع أن يضعوا الزهور عليه لتأبينه.»

كان الجميع يبكون من أجل الطائر الميت المسكين بينما يدورون في المكان كي يقطفوا (**بالأحرى يقتلوا**) الأزهار، ويقتلعوا سيقانها وهم يهتفون بحماسة: «يا لها من أزهار جميلة! سيسعد مستر بادجي الصغير كثيرًا».

بدوا لي غريبي الأطوار لدرجة أني فكرت أنهم قد جُنوا.

دفنّا الطائر في حفرة حفرناها على الجانب الآخر من سور الحديقة حيث توجد لافتة تقول: «**احترس!**» ثم وضعنا «**جثث**» الأزهار فوقه. جلب أحدهم عصا آيس كريم من صندوق القمامة، وغرسها في مكان القبر لتمييز موقعه.

«الطائر الصغير المسكين! الأمر محزنٌ جدا أليس كذلك، كيكو؟» ظلت أمي تغمغم كما لو كانت تحاول إقناعي. لكني لم أعتقد أن الأمر محزنٌ على الإطلاق.

هنالك الكثير من المواقف الأخرى المشابهة. كانت هنالك تلك الفوضى العارمة التي حدثت بعد التحاقي بالمدرسة الابتدائية بفترة وجيزة. عندما بدأ فَتَيان بالمشاجرة أثناء الفسحة فشرع الأطفال الآخرون يبكون ويصرخون.

«استدعوا معلِّمًا!»

«فليتدخل أحد لإيقافهما.»

وهكذا ذهبت إلى السقيفة، والتقطت جاروفًا، وهرولت حيث الصبيين المتناحرين، ونزلت بالجاروف بقوة على رأس أحدهما. بدأ الجميع بالصياح بينما سقط الولد على الأرض، وهو يمسك برأسه. حين رأيت أنه قد توقف عن الحركة، حولت انتباهي نحو الصبي الآخر، ورفعت الجاروف لأعلى من جديد.

«كيكو، توقفي! رجاء توقفي!» صاحت الفتيات باكيات.

أخيرًا أتى بعض المعلمين. صُعقوا مما وقعت عليه عيونهم، وطلبوا مني أن أوضح ما حدث.

«كان الجميع يتوسلون أن يوقفها أحدٌ ففعلت.»

العنف أمر خاطئ. قال لي المعلمون المذهولون بارتباك.

«لكن الكل كان يصيح مطالبًا بإيقاف يامازاكي وأوكي عن المشاجرة! ففكرت أن تلك هي أسرع وسيلة لفعل ذلك.» شرحتُ بصبرٍ. لماذا كانوا غاضبين لهذه الدرجة؟ لم أستوعب الأمر.

عُقِد اجتماعٌ واستدعوا أمي للحضور إلى المدرسة. رؤيتها وهي تنحني للمعلمين، وتعتذر مرة تلو الأخرى، والجدية تعلو وجهها بغرابة، جعلني أدرك أخيرًا أنه ربما ما كان على أن أفعل ما فعلته لكن لم أستطع أن أفهم أبدًا «لماذا».

ينطبق ذلك أيضًا على المرة التي انتابت معلمةَ الفصل الشابة حالةٌ من الهستيريا، وبدأت بالصياح والضرب على مكتبها بسجل الحضور في غضبٍ

شديدٍ مما دفع جميع الطلاب للبكاء. لم تهدأ المعلمة حتى حين بدأ الجميع بالتوسل إليها.

«نحن آسفون، يا آنسة.»

«رجاء توقفي، يا آنسة!»

لذا من أجل إسكاتها، أسرعت نحوها، وجذبت تنورتها ولباسها الداخلي لأسفل. صُدِمت المعلمة للغاية من فعلتي لدرجة أنها أجهشت بالبكاء لكن على الأقل باتت هادئة. أتت معلمة من الفصل المجاور مهرولة إلى فصلنا، وسألتني ماذا حدث؟ شرحت لها أنني في مرة شاهدت في مسلسل تلفزيوني امرأة بالغة كانت منزعجة وثائرة، وهدأت حين انتزع أحدهم ثيابها.

مع ذلك أقاموا اجتماعًا آخرًا للمعلمين، واستدعوا أمي مرة ثانية.

«أتساءل لماذا لا تستطيعين أن تفهمي، كيكو...» غمغمت بيأس في طريق عودتنا إلى البيت وهي تضمني إلى جسمها. بدا أنني فعلت شيئًا خاطئًا مرة أخرى لكن لم أستطع - مهما حاولت - أن أفهم ما هي المشكلة؟!

لم يملك والداي أي فكرة عن كيفية التعامل معي، لكن ظلا ودودين ومحبين لي كما كانا دائمًا. لم أقصد أبدًا أن أحزنهما أو أن أجعلهما يعتذران باستمرار عن أفعال ارتكبتها أنا؛ لذا قررت أن أبقي فمي مغلقًا خارج البيت. لن أفعل أي شيء نابع من داخلي، وسأكتفى إمَّا بتقليد الآخرين أو اتباع الأوامر.

منذ تلك اللحظة، بدا الكبار مرتاحين حين لا أتفوه بكلمة زائدة عن الحاجة أو أفعل شيئًا بناء على حدسي. لكن بينما أكبر في العمر، بدأ هدوئي الشديد والتزامي الدائم بالصمت يصبح مشكلةً بحد ذاته. لكن بالنسبة إليّ كان إبقاء فمي مغلقًا هو الحل الأكثر فعالية للمضي في الحياة دون متاعب.

حتى حين كتب الأساتذة في دفتر المتابعة المدرسية أن على تكوين صداقات أكثر، وأن ألعب في الخارج أكثر، كنت أرفض بإصرار قول أي شيء أكثر من الضروري.

كانت أختي الصغيرة، طفلة «طبيعية». مع هذا لم تحاول أن تتجنبني أبدًا، في الحقيقة كانت تحبني. وعلى عكس معاملة والديّ لي، كانا يوبخانها على أشياء سخيفة وتافهة. ومتى حدث ذلك، كنت أذهب لأمي وأسألها عن سبب غضبها الشديد. كان تدخلي هذا عادة ما يضع نهاية لتلك المحاضرة الأخلاقية، وكانت أختي تشكرني دائمًا على ذلك كما لو كانت تعتقد أنني أحميها. كذلك ساعد على توطيد علاقتنا عدمُ اهتمامي المطلق بالحلوى والألعاب، ومنحي إياها لأختي. كانت بدورها تبقي قريبة مني دائمًا. كانت عائلتي تحبني وتدللني دائمًا، ولهذا استبد بهم القلق وأرادوا علاجي. أتذكر سماع والديّ يناقشان الطريقة اللازمة لفعل ذلك، وتساءلت داخلي ما الشيء الذي يتعلق بي ويحتاج لتصحيح.

في مرة اصطحبني أبي بسيارته إلى بلدةٍ بعيدةٍ كي نقابلَ معالجًا. خمن المعالج فورًا أنه لابد من وجود مشكلة ما في البيت لكن لم تكن هنالك مشكلة حقًا. كان أبي متسامحًا ورصينًا، وأمي طيبة إن لم تكن خجولة قليلًا، وأختي الصغيرة مغرمة جدًّا بي.

«في الوقت الحالي، اغمروها بمحبتكم ثم سنرى كيف ستسير الأمور.»

هكذا ختمَ المعالج لقاءَه اللطيف معنا، ولهذا اجتهد والداي في تربيتي باهتمام ومحبة.

لم أصادق أيَّ أحد في المدرسة لكن لم يتسبب ذلك في تعرضي للمضايقة أو التنمّر بشكل خاص. تمكنت من إنهاء المدرسة الابتدائية والإعدادية دون

قول أي شيء لم يستدع الموقف أن أقوله. لم تتغير شخصيتي حتى بعد تخرجي من المدرسة الثانوية والتحاقي بالجامعة. كنت أقضي أوقات فراغي وحدي، ولم أكن أتحدث مع أي أحد في أمور شخصية. لم أكرر أبدًا المشكلات التي تسببتُ في حدوثها في المدرسة الابتدائية. رغم ذلك ظل والداي قلقين من أنني لن أستطيع النجاة عندما أواجه العالم الحقيقي. وهكذا بينما يؤمن والداي أنني يجب أن أُعالج، كبرتُ حتى وصلتُ سن البلوغ.

***

افتُتح متجر بقالة **سمارت مارت** خارج محطة **هيروميشي** في الأول من مايو 1998، أي بعد فترة وجيزة من دخولي إلى الجامعة. لا يزال بإمكاني تذكر اللحظة التي مررت فيها أمام المتجر – الذي لم يكن قد افتُتِح بعد – بوضوح. كنت قد انتهيت من مشاهدة عرض للـ «نو»[1] كجزء من دراستي، ولأني لم أكن أملك أصدقاء، كنت في طريق العودة إلى البيت بمفردي عندما أخذت انعطافه خاطئة، ووجدت نفسي في حي غير مألوف لي. كنت تائهة تمامًا. فجأة خطر ببالي أن هذه المنطقة مهجورة. كنت وحدي في عالم من المباني البيضاء الجميلة. بدا كمشهد افتراضيٍّ مصممٍ بالورق المقوى. كان ذلك في ظهيرة يوم أحد، ولم يكن هنالك أيُّ أثر لأي مخلوقٍ غيري في الطريق. كان الأمر وكأنني في بلدةِ أشباحٍ. بينما يطغى عليَّ إحساسٌ أنني تعثرت بالخطأ ودخلت إلى بعدٍ مكاني آخرٍ، هرولت مجتازة المنطقة بحثًا عن محطة مترو. في النهاية لمحت لافتة المحطة فارتاح بالي. كنت أجري نحو تلك اللافتة عندما

---

(1) فن النو: فن مسرحي موسيقي ياباني شهير ترجع بدايته للقرن الرابع عشر حيث يضع الممثلون أقنعة ويغنون بنبرة صوت متشابهة. ويعتبر من أقدم الفنون المسرحية التي لا تزال تقدم على المسارح حتى اليوم.

مررت بالطابق الأرضي لمبنى شديد البياض، يشبه تصميمه الأكواريوم (حوض سمك كبير). لا يعلو المبنى لافتة تعريفية أو أيُّ شيء آخر. مجرد ورقة معلقة على واجهته الزجاجية:

سمارت مارت هيروميشي

الافتتاح قريبًا!

مطلوب عاملين

ألقيت نظرة خجولة من خلال الزجاج. لم يكن هنالك أحد بالداخل، ويبدو أن المبنى لا يزال تحت الإنشاء. يغلف الحوائط مشمعٌ بلاستيكي، وتنتشر صفوف من الرفوف البيضاء الفارغة في المكان. من الصعب تصديق أن هذه المساحة الفارغة ستصير متجر بقالة قريبًا. المبلغ الشهري الذي يصلني من أهلي يكفي لعيشي لكن كنت لا أزال مهتمة بمزاولة عمل ما بدوام جزئي. دونتُ رقم الهاتف المكتوب على الورقة ثم مضيت في طريقي إلى البيت.

في اليوم التالي اتصلت بالرقم. ثم بعد مقابلة شخصية مقتضبة، مُنِحتُ الوظيفة في اليوم نفسه. أخبروني أن التدريب سيبدأ في الأسبوع التالي.

عندما توجهت إلى المتجر في الوقت المحدد، وجدته وقد صار يشبه أكثر قليلًا متجر بقالة مقارنة بتلك الليلة. فقد زُود المتجر جزئيًا ببعض الأدوات المدرسية والمحارم الورقية وسلع أخرى متنوعة، رُصَّت على الأرفف بشكل منظم. كان هنالك بعض العاملين الجدد داخل المتجر: فتاة يبدو أنها طالبة مثلي، وشاب يبدو أنه يبحث عن عمل لفترة مؤقتة فقط، وامرأة كبيرة في السن قليلًا، ربما ربة منزل. في المجمل، كنا خمسة عشر شخصًا مختلفين جدًّا في هيئتنا، يتجول كلٌّ منا من دون هدف في أرجاء المتجر. في النهاية حضر

المدرب الذي أرسلته إدارة المتجر. وزع المدرب زيّ المتجر الموحد على الجميع. ارتديت زيّي ثم هندمت مظهري وفقًا للائحة التعليمات المثبتة على الحائط. بمجرد أن انتهت النساء ذوات الشعر الطويل من عقص شعورهن للوراء، وأزال الجميع الساعات وأي إكسسورات أخرى كما تشير التعليمات، بدت تلك المجموعة المتنوعة الأشكال والمظاهر كعمال متجر بقالة حقًا.

في البداية تدربنا على طريقة إلقاء عبارات مختلفة سنحتاج لاستخدامها باستمرار في المتجر. وقفنا في صفٍ، الكتف للكتف، وظهورنا منتصبة، ثم حركنا شفاهنا لأعلى لتماثل الوجه المبتسم المرسوم فوق لوحة التدريب ونطق كل منا عبارة الترحيب المتفق عليها بالدور:

إيراشَيمسِي!

مرَّ المدرب على كل فرد منا، ووجهنا بأن نحاول من جديد إذا كانت نبرة صوتنا منخفضة للغاية أو تعابير وجهنا صلبة جدًا.

«مسز أوكاموتو، لا تكوني خجولة هكذا.»

«ابتسم، مستر إيزاكي، وارفع صوتك قليلًا! حاول ثانية».

«مسز فوروكورا، ممتاز. طريقتك لطيفة ومفعمة بالحيوية. استمري هكذا!»

كنتُ بارعة في تقليد نماذج المدرب المرسومة والفيديوهات التي عرضها علينا في الحجرة الخلفية للمتجر. كانت أول مرة يعلمني فيها أحدهم رسم تعبير طبيعي على وجهي وقواعد الحديث الصحيحة.

لمدة أسبوعين قبل الافتتاح، عملنا في أزواج، ومثّلنا مواقفَ نتعاملُ فيها مع زبائن وهميين. تدربنا على النظر في عين الزبون، وعلى الابتسام والانحناء بأجسادنا، وعلى تنظيف أيدينا بالكحول قبل أن نتعامل مع كابينة المأكولات

الساخنة، وعلى وضع السلع الساخنة والباردة في أكياس مُنفصلة، والمنظفات في أكياس ورقية. أثناء التدريب، كانت النقود في ماكينة النقود حقيقية كي نتعود على التعامل معها لكن كانت إيصالات البيع مدمُوغة بكلمة «**مخصصة للتدريب**» بحروف كبيرة، وكان «**الزبائن**» في النهاية زملاءنا في التدريب المرتدين زي المتجر الموحد لذا كان الأمر أشبه باللعب داخل متجر.

كان من الممتع رؤية كل أنواع البشر طلاب جامعات، وشبانًا يعزفون في فرق موسيقية للهواة، وباحثين عن أعمال مؤقتة، وربات بيوت وفتيانًا يدرسون من أجل الشهادة الثانوية في مدارس ليلية – وقد ارتدوا نفس الزي وتحولوا لذلك الكائن المتجانس المسمى «**عامل متجر البقالة**». ثم بمجرد انتهاء يوم التدريب، يخلع الجميع زي المتجر ويستعيدون صورتهم الأصلية من جديد. بدا أننا نتحول إلى كائن مختلف تمامًا في كل مرة نستبدل فيها ثيابنا.

بعد أسبوعين من التدريب، أتى أخيرًا يوم الافتتاح المرتقب. وصلت إلى المتجر في الصباح لأجد الرفوف البيضاء الخالية ممتلئة عن آخرها بسلع يكاد لا يوجد أي فراغ بينها لدرجة بدت معها غير حقيقية.

أخيرًا حان الوقت. هذه هي اللحظة الحقيقية، قلت لنفسي بينما تُفتح الأبواب ويندفع الزبائن. زبائن حقيقيون وليس الزبائن الوهميين الذين كنا نتقمص أدوارهم أثناء التدريب. كان الزبائن من كل شكل ولون. لأننا في حي تجاري، توقعت أن يكون كلُّ زبائننا مرتدين سترات عمل متشابهة لكن كان الناس الواقفون خارج باب المتجر في انتظار الدخول مجموعة من سكان المنطقة.

شاهدت بذهول تام دخول أول زبون: امرأة عجوز نحيلة تمشي متكئة على عكاز، ثم اندفع وراءها تيّار طويل من الزبائن ممسكين بكوبونات التخفيضات على كرات الأرز، وصناديق الغداء.

«هيا، مسز فوروكورا، لا تنسي تحيّة زبائننا!» حثني المدير.

إيراشَيمسِي!

انطلقت الكلمات من فمي دون تفكيرٍ وأنا أجمع شتات نفسي. «أسعار خاصة اليوم احتفالًا بافتتاح المتجر. رجاءً ألقوا نظرة على كل شيء!»

بدت حتى العبارات التي دربونا على استخدامها مختلفة تمامًا الآن والمتجر مكتظٌّ بالزبائن. لم أدرك أبدًا أن أصوات الزبائن قد تكون بذلك الصخب! ترددت أصداء أصواتهم وخطوات أقدامهم أثناء سيرهم في أرجاء المتجر: خشخشة علب الحلوى التي يلقونها في سلات التسوق، وصرير أبواب الثلاجات عند فتحها وغلقها لإخراج المشروبات الباردة. أسرتني حدة الصوت ودفعتني للصياح دون توقف: –

إيراشَيمسِي!

انهارت جبال الأطعمة والحلوى التي كانت مصفوفة بعناية مثالية، ومعروضة بأناقة فائقة لدرجة بدت معها غير حقيقية تحت وطأة هجوم الزبائن. في البداية بدا المتجر غير حقيقي لكن الآن بفعل لمسات الزبائن شهد المتجر تحوُّلًا حيويًا وملموسًا.

كانت السيدة العجوز التي دخلت للمتجر أوَّلًا، هي أول من أتى لدفع الحساب أيضًا. وقفتُ أمام ماكينة النقود وأنا أسترجع في ذهني سريعًا صفحات كتيب الاستخدام بينما تضع سلّتها على منضدة الحساب. كانت السلّة تحوي حلوى الشو بالكريمة وسندويتشًا وعددًا من كرات الأرز. اعتدل كل العمال من حولي في وقفتهم بينما تقترب السيدة. كنت مدركة لعيونهم الموجّهة نحوي، وأنا أنحني لها بالطريقة التي تعلمتها في التدريب.

إيراشَيمسِي!

قلت بالنبرة نفسها التي تلفظت بها المرأة في فيديو التدريب بينما أسحب السلة نحوي، وأبدأ بتمرير جهاز الباركود على التسلسل الملصق على المشتريات تمامًا كما تعلمت في التدريب. وقف المدير بالقرب مني، وأنا أضع المشتريات في كيس بلاستيكي.

«متى تفتحون؟» سألتني العجوز.

«همم. اليوم فتحنا في تمام العاشرة لكن بعد الآن سيكون المتجر مفتوحًا طوال الوقت!»

لاحظ المدير كم كانت إجاباتي على الأسئلة التي لم نُمَرن عليها أثناء فترة التدريب حمقاء وغير مناسبة فتدخل بسرعة في الكلام مضيفًا:

«من الآن، سوف نفتح أربع وعشرين ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع، طوال العام. رجاء تكرّمي بالقدوم والتسوق من هنا، من متجركِ.»

«يا إلهي تفتحون ليلًا أيضًا؟ ومبكرًا في الصباح؟»

أومأتُ برأسي قائلة: «نعم.»

«كم هذا مريح جدًا! يصعب على المشي بركبتي المريضة، كما ترين. السوبر ماركت بعيد جدًّا عن هنا. كان التسوق كابوسًا بالنسبة إليّ.» قالت.

«اطمئني. ستجدين المتجر مفتوحًا طوال الأربع وعشرين ساعة. رجاء تكرّمي بالقدوم إلى متجركِ.» قلت مرددة العبارات التي استخدمها المدير كالببغاء.

«ذلك رائع. لكن لابد أن هذا أمر شاقٌ على عمال متجركم.»

«شكرًا جزيلًا!» قلت راسمة ابتسامة على وجهي وأنا أنحني بالطريقة نفسها التي انحنى بها المدير.

ضحكت المرأة وقالت: «بل شكرًا لكِ، سوف آتي مرة ثانية.» ثم مشت مبتعدة عن منضدة الحساب.

«أحسنت، آنسة فوروكورا،» قال لي المدير. «كان ذلك مثاليًّا! لقد حافظتِ على هدوئك رغم أنّها أول مرة لك أمام ماكينة النقود. عمل جيد، استمري هكذا، أوه، انظري، الزبون التالي!»

التفتُ وشاهدت رجلًا يقترب حاملًا سلّة ممتلئة بكرات الأرز.

إيراشَيمسِي!

سارعت لتحيته بنبرة مماثلة تمامًا للمرة السابقة ثم انحنيت. تناولت السلة من يده.

في تلك اللحظة ولأول مرة في حياتي، شعرت أنني جزء من «**آلة**» المجتمع. لقد ولدتُ من جديد، فكرتُ. في ذلك اليوم صرت ترسًا حقيقيًا من تروسِ المجتمع.

***

وهكذا ظل متجر بقالة **سمارت مارت هيروميشي** مفتوحًا منذ ذلك اليوم. أنواره مضاءة من دون انقطاع. أحيانًا أمسك بآلة حاسبة وأحاول أن أحصي عدد الساعات التي مرت منذ الافتتاح. في ذلك اليوم الأول من مايو كان قد مر على افتتاح المتجر ثماني عشرة سنة. ظل المتجر مفتوحًا ل 157800 ساعة متواصلة. أنا الآن في السادسة والثلاثين من عمري وأنا «**عاملة متجر البقالة**» قد بلغت من العمر ثمانية عشر عامًا. لم يعد أيٌ من العمال الآخرين الأوائل الذين تلقّوا تدريبهم معي هنا. والمدير الحالي هو ثامن مدير للمتجر.

لم يعد أيُّ منتج كنا نبيعه في وقت الافتتاح موجودًا الآن. لكن أنا لا أزال موجودةً.

عندما بدأت العمل هنا، كان هنالك كتيبٌ مُفصل علمني كيف أكون عاملة متجر بقالة، وما زلت حتى الآن عاجزة عن أن أكون إنسانًا طبيعيًا خارج حدود هذا الكتيب. حتى الآن لا يزال والداي ينظران إليَّ بتساهل مفعم بالقلق لأنني لا أزال في نفس الوظيفة الراكدة (لا ترقيات فيها). كان هنالك وقت في العشرينيات من عمري، شعرت فيه بالشفقة نحوهما، وتقدمت إلى عدة وظائف من أجل إرضائهما، لكن لأن سيرتي الذاتية لا تتضمن سوى وظيفة واحدة «**عاملة متجر بقالة**»، فنادرًا ما كنت أصل إلى قائمة الاختيار المبدئية. وحتى حين يقع الاختيار عليّ لإجراء مقابلة شخصية، لا أتمكن أبدًا من أن أشرح للآخرين لماذا قضيتُ كل هذه السنوات أعمل فقط في متجر بقالة.

أحيانًا في أحلامي أجدُ نفسي داخل المتجر أضغط بأصابعي على أزرار ماكينة النقود. أستيقظ مُنتفضةً من مكاني وأنا أفكر:

أوه! نسيت وضع ملصقات السعر على الصنف الجديد من رقائق البطاطس أو لقد بعنا الكثير من الشاي اليوم لذا على أن أعيد ملء كابينة العرض غدًا. أحيانًا أيضًا أستيقظ في قلبِ الليل على صوتي يقول:

صباح الخير. إيراشَيمسِي!

عندما أصابُ بالأرق، أفكرُ في ذلك الصندوق الزجاجي الشفاف – المتجر – الذي لا يزال مفعمًا بالحياة حتى في ظلام الليل، والذي لا يكفُّ عن العمل بدقة شديدة كالساعة. بينما أتخيل المشهدَ أمامي، يتردد صدى أصوات المتجر في أذنيّ. تهدهدني تلك الأصوات حتى أستغرق في النوم.

عندما يهلّ الصباح، أصيرُ عاملةَ متجرٍ من جديد، ترسًا في المجتمع. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني أن أكون بها إنسانًا طبيعيًا.

***

أصل إلى متجر بقالة **سمارت مارت هيروميشي** كل صباح في تمام الثامنة. تبدأ مناوبتي الصباحية من التاسعة صباحًا لكني أصل مبكرة كي أتناول الإفطار قبل بدء العمل. ألتقط زجاجة تحوي لترين من المياه المعدنية، وأختار سندويتشًا أو قطعة من خبز البان[1] إنتاج اليوم، ثم أدفع الحساب وآخذ هذه الأشياء إلى الحجرة الخلفية حيث آكل. في الحجرة الخلفية، يُعرض ما تنقله كاميرات المراقبة في المتجر على شاشة كبيرة. هذا الصباح كان دات-خان، شاب فيتنامي تسلم العمل حديثًا في المناوبة المسائية، يعمل بشكل مسعور على ماكينة النقود كي يسلم عهدته إلى عامل المناوبة الصباحية بينما يتجول المدير في المتجر مبقيًا عينًا عليه. تناولتُ السندويتش سريعًا. بعدها صرت جاهزة لتبديل ثيابي بزي العمل، وتقديم يد المساعدة بسرعة في أي لحظة تُطلب مني. مكتبة سُر مَن قرأ

على الإفطار آكل خبزَ متجر البقالة. على الغداء آكل كرات الأرز بالإضافة إلى شيء آخر من كابينة الأطعمة الساخنة في متجر البقالة. بعد انتهاء العمل أكون عادةً مرهقة جدًّا لذا أكتفي بشراء شيء من المتجر، وآخذه معي إلى البيت لأتناوله على العشاء. أشرب عادة نصف زجاجة الماء أثناء العمل ثم أعيدها إلى حقيبتي الصديقة للبيئة، وأحملها معي لأنهيها في البيت.

حين أفكر أن جسمي مبنيٌ تمامًا من طعام وماء مشترى من هذا المتجر،

---

(1) خبز حلو الطعم يستخدم لإعداد الشطائر.

ينتابني شعورٌ أنني جزء لا يتجزأ من المتجر مثل ركن المجلات وماكينة صنع القهوة تمامًا.

بعد الإفطار، ألقي نظرة على توقعاتِ الطقس ثم أتفقد سريعًا أوراقًا خاصة بالمتجر. توقعات الطقس مصدرٌ حيوي للمعلومات بالنسبة لأي متجر بقالة. اختلاف درجة حرارة اليوم مقارنة بالأمس عاملٌ مهمٌ لا يجب إغفاله. اليوم درجة الحرارة العظمى هي 21 درجة مئوية والصغرى 14 درجة مئوية. سيكون الجو غائمًا، مع توقعات بهطول المطر في المساء، حيث سيبرد الجو بشدة. في الأيام الحارة، ترتفع مبيعات السندوتشات بينما في الأيام الباردة يكون النصيب الأكبر لمبيعات خبز البان وكرات الأرز والدامبلنغ باللحم. تتغير مبيعات الأطعمة على الرفوف أيضًا وفقًا لدرجة الحرارة. يباع كروكيت البطاطس بمعدل ممتاز في الأيام الباردة. اليوم هنالك تخفيضات خاصة عليه، لذا يجب أن نطهو العديد من الكروكيت، نبّهتُ نفسي.

يصل عمّال المناوبة الصباحية في هذا التوقيت دائمًا، بعد الثامنة والنصف تمامًا. يُفتح الباب، ويصل إلى سمعي صوتٌ أجشٌ يقول: صباح الخير!

أنها مسز إيزومي مشرفتنا الجديرة بالثقة. مسز إيزومي ربّة منزل، أكبر منّي بعام، في السابعة والثلاثين ربيعًا، شخصية صارمة لكن لا جدال في كفاءتها في العمل. تحب مسز إيزومي ارتداء ثياب مبهرجة، وتأتي إلى المتجر مرتدية حذاءها ذا الكعب العالي الذي تستبدله بحذاء رياضي في حجرة تغير الملابس الخاصة بها.

«مبكرة اليوم كعادتك، مسز فوروكورا. أوه، هذا أحد أصناف البان الجديدة، أليس كذلك؟ كيف وجدتِه؟» سألتني وهي تضع عينيها على قطعة بان محشوٍّ بالشوكولاتة والمانجو أمسكها بيدي.

«طعم الكريمة غريب ورائحته لاذعة قليلًا، وهو شيء منفِّر إلى حد ما. في الحقيقة ليس شهيًّا جدًّا.»

«حقًا؟ يا إلهي. لقد طلب المدير مائة قطعة من هذا الصنف. حسنًا، لنركز على بيع العدد الذي وصل اليوم.»

«هذه هي الروح المطلوبة!»

الغالبية العظمى من عمّال المتجر طلبة جامعات أو شبّانٌ يعملون لفترة مؤقتة فقط قبل أن ينتقلوا إلى وظيفة أخرى؛ لذا كان من غير المألوف لي العمل مع امرأة في مرحلة عمريّة مماثلة لي مثل مسز إيزومي.

عقصت مسز إيزومي شعرها للوراء وارتدت قميصًا أبيضَ وربطة عنق زرقاء فاتحة فوق بلوزة زرقاء غامقة. عندما تسلم المالك الحالي للمتجر الإدارة، جعلنا نبدأ في ارتداء قميص وربطة عنق فوق زي المتجر المعتاد. قبل ذلك لم تكن تلك قاعدة إلزامية. كانت مسز إيزومي تتأكد من مظهرها في المرآة حين وصلت سوجاوارا مهرولة وهي تصيح: «صباح الخير!»

سوجاوارا شابة في الرابعة والعشرين. تمتلك شخصية صاخبة ومرحة. مغنية في فرقة موسيقية، وتتحدث كثيرًا عن رغبتها الحثيثة في صبغ شعرها القصير بالأحمر. بدينة قليلًا، ولا تخلو من جاذبية خاصة بها لكن عادة ما تصل متأخرة وكثيرًا ما يوبخها المدير لارتدائها أقراطًا أثناء العمل. بفضل أسلوب مسز إيزومي الصبور والناجع في تأنيبها وتعليمها، بدأت سوجاوارا تأخذ العمل على محمَل الجدِّ، وباتت عضوًا نشطًا في طاقم العمل.

من ضمن عمال المناوبة الصباحية أيضًا: إيواكي، طالب جامعي طويل وهزيل، ويوكيشيتا عامل مؤقت، نجح في العثور على وظيفة مناسبة لذا كان يستعد لترك العمل في المتجر قريبًا. قال إيواكي أيضًا أنه سيبحث عن وظيفة

أخرى، وأنه سيحتاج لإجازة لعدة أيام كي يفعل ذلك لذا فكر المدير أن يعود للمشاركة في المناوبة الصباحية أو يوظف شخصًا جديدًا كي يستمر عمل المتجر بسلاسة من دون أي مشاكل.

يشكّل الأشخاص المحيطون بي الجزء الأعظم من شخصيّتي الحالية. شخصيّتي الآن مكونة من **ثلاثين** بالمئة مسز إيزومي زائد **ثلاثين** بالمئة سوجاوارا زائد **عشرين** بالمئة المدير والنسبة المتبقية هي الخبرات المتراكمة التي اكتسبتها من خلال علاقتي بالزملاء القدامى مثل ساساكي التي غادرت منذ ستة شهور، وأوكاساكي مشرفنا السابق الذي غادر منذ عام لتحلّ محله مسز إيزومي.

تتأثر طريقتي في الكلام بشكل خاص بمن حولي. هي الآن مزيجٌ بين طريقة كلام مسز إيزومي وسوجاوارا. أعتقد أن هذا ينطبق على معظم البشر. مثلًا، عندما أتى بعض من أعضاء فرقة سوجاوارا الموسيقية إلى المتجر، كانوا جميعًا مرتدين ثيابًا مشابهة لسوجاوارا ويتحدثون بطريقة مماثلة لها.

بعد قدوم مسز إيزومي للعمل في المتجر، بدأت ساساكي تشبهها حين تقول:

«أحسنتم، أراكم غدًا.»

مرة أتت سيدة كانت على معرفة وثيقة بمسز إيزومي من خلال عملها في متجرها السابق، لتساعدها في العمل فلاحظتُ كم ترتدي ثيابًا مشابهة كثيرًا جدًّا لمسز إيزومي لدرجة أنني كدت أعجز عن التمييز بين الاثنتين.

ويتأثر الآخرون بطريقة كلامي أيضًا بلا ريب. التلقائية التي يعدي بها بعضنا بعضًا بخصالنا هي الوسيلة التي نحافظ بها على كينونتنا كبشر.

كما ذكرت، فإن مسز إيزومي ترتدي ثيابًا مبهرجة لكن في النهاية هي

ترتدي كأي امرأة عادية في الثلاثينيات من عمرها. لذا أهتم بتسجيل ماركة حذائها والملصق على معطفها المعلق في حجرة تغيير الملابس. وبمجرد أن تترك حقيبة مكياجها ملقاة في مكان ما في الحجرة الخلفية، ألقي نظرة سريعة على محتواها وأدون أسماء مستحضرات التجميل التي تستخدمها. سيلاحظ الناس إذا قلدتها تمامًا لذا ما أفعله هو أنني أقرأ مدونات إلكترونية يديرها أشخاص يلبسون ثيابًا مماثلة لها ثم أختار ثيابًا وشالات من ماركات أخرى يتحدثون عن شرائها. وهكذا أقلد مسز إيزومي بطريقة غير مباشرة. أعتبرُ ملابس مسز إيزومي وإكسسواراتها وتصفيفات شعرها النموذج المثالي لما يجب أن ترتديه أي امرأة في الثلاثينيات.

بينما كنا نثرثر في الحجرة الخلفية، وقع بصرها فجأة على حذاء باليه بدون كعب كنت أرتديه.

«أوه، هذا الحذاء من ذلك المتجر في أوموتيساندو، أليس كذلك؟ أحب ذلك المكان أيضًا. اشتريت بعض الأحذية من هناك.»

تتحدث مسز إيزومي بتشدق وبطء شديدين لدرجة أن نهايات الكلمات تخرج من فمها ممدودة قليلًا فأجد صعوبة في فهم متى تنتهي كلمة وتبدأ الأخرى. اشتريت ذلك الحذاء بعد أن فحصت الماركة على حذاء مسز إيزومي الذي ارتدته إلى العمل في أحد الأيام بينما كانت هي في الحمام.

«أوه، حقًا؟ انتظري، هل تقصدين ذلك الحذاء الأزرق الغامق الذي ارتديتِه في العمل من قبل؟ كان حذاء جميلًا!» أجبتها، مقلدة أسلوب سوجاوارا في الكلام لكن استخدمت نبرة صوت أكثر نضجًا قليلًا. تتحدث سوجاوارا بطريقة متقطعة وحماسية، مناقضة تمامًا لأسلوب مسز إيزومي، لكن حين أمزج بين الأسلوبين، ينجح الأمر معي بشكل مدهش.

«لدينا أذواق متشابهة جدًا، أليس كذلك؟ أنا معجبة بحقيبتك أيضًا.» قالت مسز إيزومي راسمة ابتسامة على وجهها.

من البديهي أن يكون ذوقي مشابهًا لذوقها بما أنني أقلدها! أنا متأكدة أن الجميع يروننني كامرأة تحمل حقيبة يد ملائمة لسنها وتستخدم أسلوب كلام مستقل بها بدون أن تكون متحفظة أو وقحة.

«مسز إيزومي، هل كنت هنا بالأمس؟» صاحت سوجاوارا بينما كانت تغير ثيابها أمام خزانتها. «رفّ حساء الرامن[1] في فوضى عارمة!»

«نعم. كنت هنا. كل شيء كان على ما يرام بعد الظهيرة. لكن تغيب ذلك الفتى عن المناوبة المسائية من جديد. لذا لابد أن المتسبب في ذلك هو الشاب الجديد دات-خان.»

اقتربت سوجاوارا منا بينما تنهي إغلاق سحّاب زيّها. تجهم وجهها وهي تقول:

«ماذا؟! لقد تركنا في مأزق مرة أخرى؟ لا يمكنني تصديق هذا! هو يعرف جيدًا العجز في عمالة المتجر في هذه الفترة، لا عجب أن المتجر ينهار. لم تُصفّ صناديق المشروبات في مكانها بعد ونحن الآن في ساعة الذروة الصباحية.»

«أعرف. الأمر في غاية السوء، أليس كذلك؟ يقول المدير أنه سيضطر لتكثيف العمل في المناوبة الليلية فقد تمكن من توظيف عمال جدد للعمل فيها في الوقت الحالي.»

«لقد نجحنا حتى الآن في أداء العمل بدون إيواكي في المناوبة الصباحية

---

(1) من أشهر أطباق المطبخ الياباني. يحضر من مرق الدجاج أو السمك ويضاف إليه صلصة الصويا أو الميسو.

لأنه يأخذ إجازات كثيرة من أجل البحث عن وظيفة وإجراء المقابلات الشخصية. ماذا في أيدينا لنفعله؟ إذا أراد الناس الاستقالة ومغادرة العمل، فلا مشكلة، لكن يجب أن يتأكدوا من إطلاعنا على الأمر قبل ذلك بفترة كافية. بدون ذلك، هم يجعلون الأمور أكثر صعوبة علينا فقط.»

أشعرني الإنصات إليهما، وهما تتحدثان بكل هذا الحنق بالتوتر؛ فلم يكن هنالك أي أثر لغضب مشابه بداخلي. اختلست نظرة نحو سوجاوارا، وحاولت أن أقلد الطريقة التي تحرك بها عضلات وجهها أثناء الحديث، كررت كلامها كالببغاء بالطريقة ذاتها التي كنت أتبعها في التدريب.

«حقًا؟ لقد تركنا في مأزق مرة أخرى؟ لا يمكنني تصديق أنه فعل ذلك وهو يعلم جيدًا العجز في العمالة.»

ضحكت مسز إيزومي وهي تخلع ساعتها وخواتمها.

«هاهاها! أنت منزعجة حقًا بخصوص ذلك الأمر، أليس كذلك مسز فوروكورا لكن أنت محقة؛ ما فعله ليس صائبًا على الإطلاق.»

لاحظتُ بعد فترة وجيزة من بدء العمل في المتجر أنه متى أبديت غضبي من الأشياء نفسها التي تثير غضب الآخرين فإن تصرفي هذا يجعلهم جميعًا سُعداء. إذا سايرت المدير عندما يكون متضايقًا أو شاركت الآخرين في سخطهم العام من تغيب شخص ما عن المناوبة الليلية من دون إبداء سبب، فإنه ينتابني إحساس غريب بالمشاركة؛ فالجميع يبدون سعداء أنني أشعر بالغضب نفسه الذي يشعرون به. لذا في هذه اللحظة أيضًا شعرت بالاطمئنان حين رأيت تعبير الرضا الذي ارتسم على وجهي مسز إيزومي وسوجاوارا. **جيد، لقد أبليت بلاء حسنًا، وتمكنت من التصرف كـ «إنسان».** انتابني شعورٌ مشابه بالاطمئنان مرات عديدة أثناء فترة عملي هنا في متجر البقالة.

نظرت مسز إيزومي نحو ساعة الحائط وأعلنت: «حسنًا إذًا، لقد حان وقت الجلسة الصباحية.»

«تمام.

وقف ثلاثتنا في صف، وبدأنا طقسنا اليومي. فتحت مسز إيزومي دفتر التقارير وأعلمتنا بأهداف اليوم والأشياء الأخرى التي يجب أن نركز انتباهنا عليها.

«عرض اليوم هو البان المحشو بالشوكولاتة والمانجو. دعونا نتذكر جميعًا الإعلان عن ذلك باستمرار. نحن أيضًا في فترة حملات التفتيش على النظافة. أعلم أن وقت الغداء سيكون مزدحمًا جدًّا مع ذلك علينا أن نحرص على الإبقاء على الأرضية والواجهات والمنطقة حول مدخل المتجر نظيفة. الوقت ينفذ منا لذا سأكتفي بهذا القدر، وأضع ثقتي الكاملة فيكما كي تنجزا تلك المهام. حسنًا إذًا، دعونا الآن نتدرب على عباراتنا المعتادة. كلنا معًا، كرّرا ما أقول:

إيراشَيمسِي!

إيراشَيمسِي!

«بكل تأكيد، حالًا، سيدي!»

«بكل تأكيد، حالًا، سيدي!»

«شكرًا لتسوقك من متجرنا!»

«شكرًا لتسوقك من متجرنا!»

كرّرنا نحن الثلاثة هذه العبارات التي نستخدمها مع الزبائن في انسجام تام. تأكدنا من هندامنا ثم تفرقنا واحدة تلو الأخرى، وانتشرنا في أنحاء

مكتبة
t.me/soramnqraa

المتجر نهتف:

إيراشَيمسِي!

كنت آخر من غادر الحجرة الخلفية.

«إيراشَيمسِي! صباح الخير.» ناديت.

أحب هذه اللحظة. أشعر كأن الصباح نفسه قد تغلغل داخلي، وملأ جسمي. يرن الجرس المثبت في باب المتجر مع دخول كلِ زبونٍ فيبدو هذا الصوت في أذني كقرع أجراسِ الكنائس. عندما أفتحُ بابَ الحجرة الخلفية، أجد الصندوق الزجاجي بأنواره الساطعة في انتظاري. عالمٌ جديرٌ بثقتي. عالمٌ كأي عالمٍ لا يكف عن التغير. أؤمن بهذا العالم الموجود داخل ذلك الصندوق الممتلئ بالضوء المدعو **متجر البقالة**.

***

أيام إجازتي هي الجمعة والأحد. في أيام الجمعة، أذهب أحيانًا لزيارة صديقة متزوجة، تعيش في المنطقة نفسها التي كبُرنا فيها معًا. في المدرسة كنت مصممة على عدم التحدث مع أي أحد لذا لم أخلق أي صداقات، لكن لاحقًا بعد أن بدأت العمل بالفعل، أتيحت لي الفرصة كي أتعرف عليها بعد لقائنا في اجتماع لمّ شمل الخريجين.

«واو! فوروكورا، تبدين مختلفة تمامًا!» أخبرتني ميهو بسرور حين رأتني، ثم مضت لتعلق بحماسة عن كيف أننا نحمل بالصدفة حقيبة اليد نفسها لكن بلونين مختلفين. «لابد أن نخرج للتسوق معًا في وقت ما.»

وهكذا تبادلنا عناوين البريد الإلكتروني، وأصبحنا نلتقي من وقت لأخر كي نتناول طعام الغداء معًا أو نتسوق.

بعد زواج ميهو، اشترت هي وزوجها منزلًا قديمًا، تقيم فيه حفلاتٍ صغيرة تدعو إليها صديقاتها من حين لآخر. أحيانًا حين تدعوني إلى تلك الحفلات، أشعر أنها صارت مصدرًا للإزعاج بالنسبة إليّ خاصةً وأن عليَّ الاستيقاظ باكرًا في اليوم التالي كي أذهب إلى العمل. لكن في النهاية كانت الاتصال الوحيد الذي أملكه بالعالم خارج حدود متجر البقالة، وفرصة ثمينة للاختلاط بنساء «**طبيعيات**» في نفس عمري؛ لهذا عادة ما أقبل دعواتها.

اليوم كانت قد دعت يوكاري وطفلها الصغير، وساتسوكي التي تزوجت لكن لم تنجب بعد. كنا جميعًا قد أحضرنا معنا كعكًا كي نتناوله مع الشاي. كانت يوكاري ترافقُ زوجها في عمله خارج المدينة لذا كانت أول مرة نراها فيها منذ مدة طويلة. ضحكنا جميعًا بينما ظلت هي تجول ببصرها في أرجاء المكان وتعبّر عن مدى اشتياقها لنا أثناء أكلنا للكعك.

«حقًّا لا مكان يشبه البيت. آخر مرة تقابلنا كان بعد زواجي مباشرة، أليس كذلك، كيكو؟»

«نعم! كان في حفلة الشواء التي أقمناها احتفالًا بزواجك، أليس كذلك؟ كان هنالك الكثير من الصديقات في ذلك الوقت. أوه، كم قضينا وقتًا ممتعًا!» قلتُ بحماسة، وأنا أمزج بين أسلوب مسز إيزومي وسوجاوارا في الكلام.

«لقد تغيّرتِ بشكل ما.» قالت وهي تحدِّق نحوي. «لم تكوني تتحدثين بشكل تلقائي مثل الآن؟ ربّما الأمر يتعلق بتصفيفة شعرك أيضًا، لكن في العموم هنالك شيء مختلف قد طرأ على شخصيتك.»

«تعتقدين ذلك؟» سألتها ميهو مستفسرةً وهي تميل برأسها. «لا أشعر أنها قد تغيرت على الإطلاق، لكن ربما لأنني أراها كثيرًا في الآونة الأخيرة.»

لكن يوكاري كانت محقة، هكذا فكرت. ففي النهاية، أنا أمتص ما يدور

في العالم حولي، وهذا شيء لا يكف عن التغيّر طوال الوقت. تمامًا مثلما حلّت مياه جديدة مكان المياه التي كانت تسري في جسمي في آخر مرة التقينا فيها فإن الأشياء التي تُكوِّنُني وتجعل مني «أنا» قد تغيرت أيضًا. في آخر مرة التقينا فيها سويًّا من عدة سنوات، كان معظم عمّال المتجر طلبة جامعات هادئي البال، لذا كانت طريقتي في الكلام وقتها مختلفة.

«أعتقد أنك محقة، ربما أكون قد تغيّرت فعلًا.» قلتُ بابتسامة من دون أن أستفيض في التفاصيل.

«حين أفكر في الأمر، فإن ذوقك في اللبس قد تغير أيضًا. أنا متأكدة أنك لم تكوني ترتدين ثيابًا مبهرجة جدًّا كالتي ترتدينها الآن،» قالت ساتسوكي.

«أوه! نعم، ربما أنت محقة.» وافقتها ميهو الرأي. هذه التنورة من بوتيك في أوموتيساندو، أليس كذلك؟ لقد جربت التنورة نفسها لكن بلون مختلف. أنها لطيفة حقًا!»

«أليس كذلك؟ مؤخرًا أشتري كلَّ ثيابي من ذلك المكان.»

كانت «أنا» التي ترتدي ثيابًا مختلفة، وتتحدث بأسلوب حديثٍ مختلفٍ من تبتسم لهنّ. لكن هل هي «أنا» حقًا؟ ومن التي كانت تتحدث مع صديقاتي إن لم تكن «أنا»؟

استمرت يوكاري في الابتسام لي وتكرار كم اشتاقت إليّ مرة تلو الأخرى.

لميهو وساتسوكي نفس تعابير الوجه وطريقة الكلام، ربما لأنهما تعيشان قريبتين بعضهما من بعض، وتتقابلان كثيرًا. الطريقة التي تتناولان بها البسكويت متشابهة بشكل خاص، كلتاهما تفتت البسكويت إلى قطع صغيرة ثم تضعها في فمها بيدين تم طلاء أظافرهما بعناية شديدة. لم أستطع أن أمنع نفسي من التساؤل إذا كانتا متشابهتين هكذا دائمًا، لكن كانت ذاكرتي ضبابية،

لابد أن العادات والإيماءات الصغيرة المشتركة بينهما والتي لفتت انتباهي في آخر لقاء بيننا قد تلاشت من ذهني، قلت لنفسي.

«في المرة القادمة دعونا ندعو عددًا أكبر من الصديقات. خاصة وقد عادت يوكاري الآن. شيهو مثلًا.»

«أمم، نعم، تلك فكرة عظيمة. دعونا نفعل ذلك!»

مع اقتراح ميهو هذا، ملنا جميعًا للأمام وقرّبنا رؤوسنا بعضها من بعض.

«يجب أن يُحضرَ الجميع أزواجهن، والأطفال أيضًا. ودعونا نقيم حفل شواء آخر!»

«أجل! فكرة رائعة. سيكون أمرًا عظيمًا أن يصبح أطفالنا أصدقاء.»

«نعم، تفكير جيد!»

بدا أن ساتسوكي قد شعرت بقليل من الحسد الممزوج بالأسى لذا حاولت يوكاري التسرية عنها: «أنت تخططين لإنجاب الأطفال، أليس كذلك، ساتسوكي؟»

«بالتأكيد، أريد الأطفال. كنت أترك الطبيعة تأخذ مجراها لكن أعتقد أن عليَّ البدء باستباق الأحداث، والأخذ بزمام الأمور في مسألة الحمل تلك.»

«أوه، أجل.» قالت ميهو. «التوقيت مثالي الآن.»

لاحظت تحديق ساتسوكي في طفل ميهو النائم، وشعرت أنّ رحميهما ينبضان معًا في توافق تمام.

كانت يوكاري تكتفي بالإيماء برأسها أثناء ذلك الحوار لكن وجهت نظراتها فجأة نحوي.

«كيكو، ألم تتزوجي بعد؟»

«لا، لم أتزوج.»

«حقًا، لكن أنت لست عالقة في نفس الوظيفة بعد الآن أليس كذلك؟»

فكّرت للحظة. أعرف أن المجتمع يرى أن من الغريب لامرأة في عمري ألا تمتلك وظيفة لائقة منتظمة، وألا تكون متزوجة بعد. هذا ما شرحته لي أختي. رغم هذا فشلت في التهرب من الإجابة أمام ميهو والأخريات اللاتي يعرفن الحقيقة.

«للأسف لا أزال أعمل في الوظيفة نفسها.»

علت الحيرة وجه يوكاري لذا أضفتُ بسرعة: «لست قوية جسمانيًّا؛ لذا من الأفضل لي امتهان وظيفة غير مجهِدة.»

أخبرتُ صديقاتي القديمات أنني أعاني من مشاكل صحية معينة كي يبدو عملي في وظيفة بدوام جزئي فكرة أكثر تقبُّلًا بالنسبة إليهن. على الجانب الآخر، في المتجر، أخبرت الآخرين أن والديّ مريضان وفي حاجة إلى رعايتي. عليَّ أن أشكر أختي على اختراع تلك الأعذار من أجلي. عندما كنت في بداية العشرينيات من عمري، لم يكن من الغريب أن أشتغل بمهنة مؤقتة أو بدوام جزئي؛ لذا لم أكن مضطرة لاختلاق أعذارٍ. لكن بمرور الوقت بدأت قريناتي يندمجن في المجتمع سواء من خلال الحصول على وظيفة دائمة أو الزواج وكنت الوحيدة التي لم تفعل أيًّا من الأمرين. رغم أني دائمًا ما أعزي ذلك إلى ضعفي الجسماني لكن لابدَّ أن تلك الذريعة لا تنطلي على الجميع فلو كنت أعاني من ضعفٍ بدني، فلماذا إذًا اخترت وظيفة تقتضي مني الوقوف على قدميّ لمدة طويلة كلّ يوم؟

«هل تمانعين إذا سألتُكِ سؤالًا شخصيًا؟ هل وقعت في الحب، كيكو؟»

سألت ساتسوكي بنبرة تحمل تلميحًا مُبطَّنًا.

«وقعتُ في الحب؟»

«هل واعدتِ أحدهم من قبل، على سبيل المثال؟ حين أفكر في الأمر لم أسمعكِ تتحدثين أبدًا عن تلك الأشياء.»

«أوه، أفهم قصدك. لا، لم أواعد أحدًا.» أجبت بعفوية.

خيَّم الصمت على الجميع. تبادلت صديقاتي نظرات غير مريحة. تذكرت متأخرة جدًّا أن أختي نصحتني أن أعطي جوابًا مبهمًا في مثل تلك الحالات مثل: «حسنًا، كان هنالك ذلك الشخص الذي أعجبت به لكنني لا أجيد الحكم على الرجال.»

ستعطي تلك الإجابة على الأقل انطباعًا أنه كان لديَّ عشيق في مرحلة ما من حياتي أو شيء ما يتضمن تلميحًا بعلاقة جسدية، حتى لو لم أملك حبيبًا حقًا.

«فقط امنحِي إجابة مُبهمة لأيِّ سؤال شخصي، ودعي الآخرين يصلون لاستنتاجاتهم الخاصة.» قالت لي أختي.

حسنًا، لقد نسيت العمل بنصيحتها هذه المرة وأدخلت نفسي في مأزق، هكذا فكرت.

«تعرفين، أملك عددًا من الصديقات المثليّات.» تدخلت ميهو في المحادثة. «لذا أتفهم الأمر نوعًا ما. في أيامنا هذه يمكنكِ أن تكوني لا جنسية[1] أو أيَّ شيء ترغبين فيه.»

«أوه أجل، سمعت أن أعداد هؤلاء في ازدياد. هنالك شبان وشابات غير

(1) عدم وجود أيِّ انجذاب جنسي لأيٍّ من الطرفين.

مهتمين بممارسة الجنس على الإطلاق.»

«شاهدت برنامجًا تلفزيونيًا عن ذلك الموضوع. يبدو أن من الصعب عليهم الإعلان عن طبيعتهم تلك جهرًا.»

لم أجرب ممارسة الجنس أبدًا، ولا أملك حتى أيَّ وعي خاص بميولي الجنسية. كنت غير مبالية بالأمر برمَّته ولم أفكر فيه أبدًا بينما تبدو صديقاتي هنا وقد أقررن ببؤسي الشديد بسبب عدم ممارستي الجنس رغم أنني لم أكن كذلك. وحتى لو كنت بائسة بخصوص ذلك الأمر، فلم يكن بؤسي من نوع الألم الصريح الذي يتحدثن عنه. لكن لم ترغب صديقاتي في التعمّق في الحديث عن الموضوع. شعرت كما لو كنّ يخبرنني أنهن يرغبن في قطع النقاش عند هذا الحد لأنه الخيار الأسهل بالنسبة إليهن.

الأمر مماثل لما حدث عندما ضربت ذلك الصبي بجاروف في المدرسة، قفز جميع البالغين إلى استنتاج غير حقيقي أن السبب في سلوكي العدواني هو أنني أتعرض للتعنيف وسوء المعاملة في البيت، وألقوا باللوم على أسرتي. بتلك الطريقة يمكنهم فهم السبب وراء الشيء السيِّئ الذي ارتكبته، ومن ثمَّ يمكنهم التوقف عن التفكير في الأمر ونسيانه. يا له من أمر مضنٍ، فكّرت، متسائلة لماذا يشعر الجميع بالحاجة لاختلاق عذر وهمي وتصديقه فقط كي يريحوا بالهم.

لم أجادل صديقاتي، بل كررت بصوت مرتفع العذر الذي أخبرتني أختي أن أستخدمه حين أكون في مأزق.

«لا، لا. الأمر فقط أنني لست قوية. هذا كل شيء.»

«أوه، أجل. صحيح، لديك تلك المشكلة المزمنة، أليس كذلك؟ لابد أن الأمر شاقٌّ جدًّا عليكِ.»

«أنت تعانين من ذلك منذ مدة طويلة. هل صحّتك على ما يرام؟»

تمنيت في تلك اللحظة لو كنت في متجر البقالة حيث يتم تقديري كعاملة من عمال المتجر النشيطين، ولا تكون الأمور معقدة مثل الآن. بمجرد أن نرتدي زيَّ العمل الموحد، نصبح جميعًا سواسية بغض النظر عن الجنس أو العمر أو المدينة التي أتينا منها - ببساطة نصبح جميعًا عمّال متجر بقالة وكفى.

نظرت نحو الساعة - الثالثة عصرًا - لابد أنهم قد أنهوا تسوية حسابات خزينة النقود، وبدؤوا في وضع آخر دفعة من الخبز وصناديق الغذاء في أماكنها على الرفوف. حتى وأنا بعيدة جدًّا عن المكان، أشعر أنني والمتجر متصلان. تخيلت في عقلي المتجر بضوئه الساطع وضجيج الزبائن. ربتُّ في صمت على يدي اليمنى وتحسستُ أظافرها المشذبة بعناية كي لا تعوق الضغط على أزرار ماكينة النقود.

***

في كل مرة أستيقظ فيها مبكرةً، أفضلُ النزول من القطار في المحطة التي تسبق محطتي المعتادة وإكمال بقية الطريق إلى المتجر سيرًا على الإقدام. بينما أمشي، تختفي البنايات السكنية والمطاعم تدريجيًا ويحلُّ محلها مباني شركات شاهقة الارتفاع. الإحساس المتنامي أن العالم يموت ببطء يشعرني بتحسُّن ما. لم يتغير المنظر أبدًا منذ ذلك اليوم الذي وقعت فيه عيناي على المتجر لأول مرة. في هذا الوقت المبكر من الصباح لا أبصر أي كائن حيٍّ في مجال رؤيتي. أحيانًا ألمح موظف شركة يرتدي بدلة ويتجاوزني مهرولًا وهذا كلُّ شيء. لا توجد سوى مكاتب عمل هنا، لكن لا يزال يأتي إلى المتجر زبائن يبدو أنهم سكان عاديون. أتساءل دائمًا أين يعيشون بحق السماء. أتخيلهم نيامًا في مكان ما داخل عالم شرنقة حشرة سيكادا فارغة. عندما يحل الليل،

تُحوِّل نوافذ المكاتب المضاءة بنور متوهج المنطقة إلى مَعلم جغرافي كبير. على عكس المنطقة المفعمة بالحياة التي تقع فيها شقتي الرخيصة فإن هذا النور يكون باردًا ومُوحشًا ومجرَّدًا من أي إحساس بالحياة، ويكسو المنطقة بلون موحد وجامد.

بالنسبة إلى عامل متجر بقالة، التجوُّل في المنطقة المحيطة بالمتجر طريقة مفيدة جدًّا لجمع معلومات قيمة. إذا بدأ مطعم قريب ببيع صناديق الغداء، فسوف يؤثّر ذلك على مبيعاتنا. حين يكون هنالك إصلاحات في الطريق فإن هذا يعني المزيد من الزبائن. أتذكر أيضًا كم كان الأمر شاقًا جدًّا عندما أُغلِق متجر منافس لنا بعد أربع سنوات من افتتاح متجرنا، واكتظ متجرنا بزبائنه. كان علينا جميعًا أن نعمل ساعات إضافية حيث طالت ساعة ذروة الغداء. وحين كانت تنفذ كل صناديق الغداء، كان المدير يتعرض إلى توبيخ قاسٍ من الإدارة لأنه فشل في إجراء بحث كافٍ عن متغيرات السوق. كان ذلك عندما قررت التجول في المكان، والتركيز على كل شيء يحدث في المنطقة كي أتأكد من عدم تكرار حدوث ذلك مرة أخرى.

اليوم لا يوجد أي تغيير كبير في المنطقة باستثناء قرب انتهاء إنشاء مبنى جديد مما قد يعني المزيد من الزبائن عند افتتاحه. سجلت ذلك في رأسي قبل أن أتابع طريقي إلى المتجر. هناك اشتريت سندويتشًا وشايًا وذهبت إلى الحجرة الخلفية لأجد مدير المتجر هناك. كان جسده الغارق في العرق محنيًا على لوحة مفاتيح الكومبيوتر.

«صباح الخير!» قلتُ.

«أوه، صباح الخير مسز فوروكورا. مبكرة اليوم كعادتك كما أرى.»

مدير المتجر في الثلاثين من عمره، وهو شخص عملي جدًا. هو المدير رقم#8. لديه لسان لاذع، لكن يعمل بجدٍ. كان المدير #2 يتهرب من العمل

دائمًا بينما كان المدير #4 جديرًا بالثقة ومهووسًا بالنظافة. كان المدير #6 غريب الأطوار ومكروهًا من الجميع، وتسبب في فضيحة للمتجر حين اتفق عمال المناوبة الليلية على الإضراب عن العمل بشكل جماعي اعتراضًا عليه. المدير #8 شخصية محبوبة للعمال ومن النوع الذي ينخرط في المهام البدنية، ولا يكتفي بمجرد إلقاء الأوامر لذا أحب مراقبته وهو يعمل. كان المدير #7 ضعيف الشخصية ولم يكن صارمًا بالشكل الكافي مع عمال المناوبة الليلية مما تسبب في فوضى كبيرة. مع أن المدير #8 فظٌ قليلًا إلا أن العمل معه كان أسهل مقارنة بالمديرين السابقين.

طوال الثمانية عشر عامًا منذ افتتاح المتجر، كان ثمة مديرٌ دائمًا، حتى لو كان يتغير باستمرار. رغم أن كلَّ مدير مختلفٌ عن الآخر، أحيانًا أشعر أنهم جميعًا امتدادٌ لكائنٍ واحدٍ.

يمتلك المدير #8 صوتًا جهوريًا يتردد صداه في أرجاء الحجرة الخلفية.

«أوه، اليوم سينضم لكم ذلك الفتي الجديد، شيراها.» أخبرني مضيفًا: «لقد أنهى تدريبه ليلة أمس؛ لذا ستكون أول مرة له في المناوبة الصباحية اليوم. ضعي عينيك عليه، تمام؟»

«حسنًا، سأفعل!» أجبت بحماسة فأومأ المدير إليّ عدة مرات دون أن تتوقف أصابعه عن إدخال البيانات إلى الكومبيوتر.

«تعرفِين، مسز فوروكورا، أشعر بالراحة دائمًا عندما تكونِين هنا. مع رحيل إيواكي بشكل نهائي، لم يتبق سواكِ ومسز إيزومي وسوجاوارا، والآن شيراها في المناوبة الصباحية. في الوقت الراهن يبدو أنني مضطرٌ أن أبقى في المناوبة الليلية؛ لذا اعتمد عليكِ.»

يمتلك المدير طريقة في مدّ نهايات الكلمات مشابهة لمسز إيزومي رغم أنهما

يمتلكان نبرتي صوت مختلفتين تمامًا. لقد تولى العمل هنا بعد مسز إيزومي لذا غالبًا أصابته مسز إيزومي بـ «**العدوى**» بينما امتصّت هي بدورها طريقته في الكلام وصارت تطيل من مطّها للكلام أيضًا. بينما أفكر في ذلك، أومأت له وقلّدت طريقة سوجاوارا في الكلام قائلة:

«بكل تأكيد، لا مشكلة! كلما عجّلنا في العثور على عامل جديد كان أفضل.»

«أجل، لقد وضعت لافتات إعلانية، وسألت أيضًا العمال في المناوبة الليلة إذا كانوا يمتلكون أصدقاء يبحثون عن عمل. قدرتك على الحضور خمسة أيام في الأسبوع في المناوبة الصباحية يمثل عونًا كبيرًا لنا مسز فوروكورا.»

في متجر بقالة يعاني من نقص في الأيدي العاملة، أحيانًا يكون عامل واحد في غاية الأهمية، فقط بتواجده في المكان، بالطبع دون أن يتسبب في أي مشكلة قد تُغرق القارب. أنا لست عاملة مميزة بشكل خاص مقارنة بمسز إيزومي وسوجاوارا، لكن لا يتفوق عليَّ أحد حين يتعلق الأمر بدقة المواعيد وعدم أخذ إجازات غير رسمية. أواظب على الحضور كل يوم في موعدي من دون أي تأخر، وبسبب هذا يقبلني الجميع بصدر رحب كجزء عاملٍ في هيكل هذا المتجر.

في تلك اللحظة أتى صوتٌ رفيعٌ من الطرف الآخر للباب.

«أمم.»

«أوه، شيراها، هذا أنت. ادخل. ادخل!» قال المدير. «ألم أؤكد عليك أن تحضر مبكّرًا نصف ساعة. أنت متأخر!»

فُتِح الباب بهدوء، ودلف رجل طويل، ستة أقدام تقريبًا، وهزيل فبدا كشماعة معطف سلكية. كان يضع نظارات ذات إطار فضي تشغل حيّزًا كبيرًا

من وجهه. كان يرتدي قميصًا أبيضَ وبنطالًا أسودَ وفقًا لقواعد المتجر لكن كان نحيفًا جدًّا فبدا القميص فضفاضًا جدًّا. كان معصماه مكشوفين بينما يتجعّد قماش القميص بشكل مزرٍ حول بطنه. أخفيت دهشتي من منظره الهزيل جدًّا - جلد على عظم - وسارعت بإمالة رأسي لأسفل وأنا ألقي عليه التحية:

«يسرُّني لقاؤك! أنا فوروكورا، من المناوبة الصباحية. أتطلّع إلى العمل معك!»

كانت الطريقة التي ألقيت بها تلك العبارة أقرب لأسلوب كلام مدير المتجر. ارتجف شيراها لنبرة صوتي العالية وأجاب بتلعثم: «أمم، أه...»

«هيّا، شيراها! أين لباقتك؟» عاتبه المدير. «من المهمّ أن تبدأ بداية جيدة، لذا عليك أن تلقي التحية بالصورة المناسبة.»

«أمم... مرحبًا.» تمتم شيراها بصوت يكاد لا يُسمع.

«من اليوم انتهيت من تدريباتك وصرت عضوًا أساسيًا في المناوبة الصباحية، كما تعرف. لقد تعلمت كيف تعمل على ماكينة النقود، وكيف تقوم بمهام التنظيف، وكيف تحضّر الأطعمة الأساسية لكن لا يزال أمامك الكثير لتتعلمه. هذه هي مسز فوروكورا التي تعمل في المتجر منذ افتتاحه، هل يمكنك تصديق ذلك؟! اسألها عن أي شيء تحتاج إلى معرفته.»

«أمم...»

«أنها تعمل هنا منذ ثمانية عشر عامًا، ثمانية عشرة عامًا! لابد أن الرقم قد فاجأك، أليس كذلك شيراها؟ عليك أن تتخذها قدوة في العمل.»

«ماذا؟» قال شيراها. علا وجهه تعبير مُبهم. بدا وكأن عينيه الغائرتين بالفعل قد تراجعتا أكثر داخل رأسه. كنت أفكر كيف يمكنني إزالة جوّ

الارتباك هذا، حين فُتِح الباب وظهرت سوجاوارا.

«صباح الخير جميعًا!» هتفت بابتهاج وهي تدلف إلى الحجرة بخطوات سريعة، بينما تتدلى حقيبة غيتار الباص على ظهرها. حين لمحت شيراها، أضافت: «أوه، وافد جديد! يسرُّني لقاؤك. سعيدة جدًّا أنك هنا.»

بدا لي أن صوت سوجاوارا قد أصبح أعلى منذ تولى المدير #8 إدارة المتجر. كنت مستغرقة في التفكير في ذلك التغير المخيف نسبيًا حين لاحظت أن شيراها وسوجاوارا قد باتا مستعدّين لبدء العمل.

«حسنًا، لأقُد أنا الجلسة الصباحية.» قال المدير. «أولًا، الأمور الخاصة باليوم: كما ترون فإن شيراها هنا قد أتمَّ تدريبه وسوف يعمل في المناوبة الصباحية من التاسعة صباحًا حتى الخامسة مساءً بدءًا من اليوم. تأكد أن يكون صوتك عاليًا وواضحًا حين تلقي التحية على الزبائن، تمام شيراها؟ أيُّ شيء لا تعرفه، يمكنك أن تستفسر منهما عليه. كلاهما من الحرس القديم. ولو أمكنك ذلك، فلتتولَّ أنت ماكينة النقود في ساعة ذروة الغداء، تمام؟»

«أوه... حسنًا.» أومأ شيراها.

«العرض الخاصّ اليوم على هوت دوغ فرانكفورت؛ لذا تأكدوا من إعداد كمية كافية منه. هدفنا أن نبيع مائة قطعة منه! آخر مرة بعنا ثلاثًا وثمانين؛ لذا يمكننا أن ننجح في تحقيق هدفنا. يمكننا حقًا! لا تتوقفوا عن العمل، حسنًا؟ أعتمد عليكِ مسز فوروكورا.»

«تمام!» هتفت ملء حنجرتي.

«الطقس مهم جدًّا لعمل المتجر أيضًا، كما تعرفون. طقس اليوم دافئ كثيرًا مقارنة بالأمس لذا سيكون هنالك إقبال على المشروبات الباردة. تحققوا من أرفف المشروبات في الثلاجات وأعيدوا ملأها إذا اقتضى الأمر.

نداء اليوم هو العرض الخاص على هوت دوغ فرانكفورت بالإضافة لحلوى الكاسترد بالمانجو.»

«تمام!» أجابت سوجاوارا.

«حسنًا، هذه هي النقاط الرئيسية بخصوص اليوم. دعونا نعيد قسمنا وأهم ست عبارات للتعامل مع الزبائن. كرروا ورائي!»

كررنا العبارات ملء حناجرنا وراء المدير.

«نقسم أن نقدم أفضل خدمة لزبائننا وأن نسعى إلى جعل متجرنا أفضل متجر في المنطقة.»

«نقسم أن نقدم أفضل خدمة لزبائننا وأن نسعى إلى جعل متجرنا أفضل متجر في المنطقة.»

إيراشَيمسِي!

إيراشَيمسِي!

«نعم، مدام. حالا مدام.»

«نعم، مدام. حالا مدام.»

«شكرًا جزيلًا!»

«شكرًا جزيلًا!»

هتف ثلاثتنا في توافق متبعين إشارات المدير. كنت أفكر كيف تكون الجلسة الصباحية أسرع وأكثر انضباطًا تحت قيادة المدير، عندما سمعت شيراها يتمتم بتذمر «الأمر يشبه درسًا دينيًّا!»

بالتأكيد هو كذلك، هكذا فكرت. فمنذ هذه اللحظة نحن موجودون

فقط من أجل خدمة متجر البقالة. يبدو أن شيراها لم يستوعب تلك الحقيقة بعد.

«هذه هي نهاية الجلسة الصباحية. فلنبذل قصارى جهدنا اليوم كما نفعل دائمًا!»

«سنفعل!» أجبت أنا وسوجاوارا.

«حسنًا إذًا، إذا كان هنالك أي شيء لم تفهمه، لا تتردد في السؤال.» قلت لشيراها. «أعتمد عليك.»

انفجر شيراها ضاحكًا: «أي شيء لم أفهمه؟! بخصوص عمل بدوام جزئي في متجر بقالة؟» أطلق صوت شخير عالٍ من أنفه وهو يضحك ثانية. شاهدت فقاعة من المخاط تتشكل داخل منخاره. إذًا هنالك ماء تحت جلد شيراها الهزيل يكفي لتكوين المخاط! فكرت بينما يشتتني مشهد انفجار الفقاعة.

«لا شيء بالتحديد. لقد فهمت الأمر جيدًا.»

«أوه حقًا؟ هل عملت في متجر من قبل؟» سألته ساجاوارا.

«ماذا؟ لا، لم أفعل.»

«حسنًا في تلك الحالة، لا يزال أمامك الكثير لتتعلمه!» قال المدير بصرامة. «فلتبدؤوا بتفقد رفوف السلع، تمام مسز فوروكورا؟ سأعود للبيت كي أخذ قسطًا من النوم.»

«سنفعل!» قلت.

«سأتولى أنا ماكينة النقود.» قالت سوجاوارا ثم هرولت مبتعدة. اصطحبت شيراها معي إلى صناديق المشروبات ثم قلت مستخدمة أسلوب

سوجاوارا في الكلام.

«حسنًا، دعنا نبدأ! تُباع المشروبات بمعدل جيد خاصة في الصباح لذا تأكد من وضعها على الرفوف بشكل أنيق ومنظم وتأكد أن بطاقات الأسعار في مكانها الصحيح، حسنًا؟ ولا تنس الإعلان عن عرض الهوت دوج وإلقاء التحية على الزبائن أثناء العمل. وتأكد من أن تفسح الطريق للزبون بسرعة إذا كان يريد شراء شيءٍ.»

«حسنًا، فهمت.» قال شيراها ثم بدأ في صف صناديق المشروبات بحماسة فاترة.

«دعني أعلم عندما تنتهي من ذلك كي أريك كيف تقوم بالتنظيف.»

واصل العمل من دون أن يهتمَّ بالرد.

توجهت للمساعدة عند ماكينة النقود خلال ساعة الذروة الصباحية، عندما تضاءل عدد الزبائن وعدت لتفقد شيراها، لم أعثر عليه في أي مكان. كانت كابينة المشروبات في فوضى عارمة. بعض صناديق اللبن موضوعة وسط صناديق عصير البرتقال. ذهبت للبحث عنه كي أجده يتصفح كتيّب المتجر بخمول شديد.

«ما المشكلة؟ هل هنالك شيء لم تفهمه؟!»

قلب الصفحة قبل أن يجيب بغرور: «تعرفين بالنسبة لكتيب سلسلة متاجر كبيرة، فإن هذا الكتيب ينقصه الكثير من وجهة نظري، عليكم أن تبدؤوا في تطوير هذه الأشياء وإلا لن يتحسن مستوى المتجر أبدًا. هذا هو رأيي.»

«شيراها، لم تنته من ترتيب الرفوف التي طلبت منك أن ترتبها، أليس كذلك؟»

«نعم، لقد انتهيت منها.» قال بدون أن يرفع عينيه عن الكتيب.

توجهت نحوه ورفعت صوتي قائلة:

«شيراها، رفوف العرض أهم بكثير من الكتيب!! أبقِها مُرتبة. ولا تنس أن التنويه عن عرض اليوم وتحية الزبائن هما أهم شيئين في مهام عامل المتجر، فلتدرك هذا جيدًا! لو لم تفهم كيف تفعل ذلك، دعنا نقم به سويًّا.»

تجاهلت الانزعاج البادي على وجهه، واصطحبته معي إلى صناديق المشروبات وأعدنا ترتيبها بينما أحدثه عن القواعد الأساسية:

«صف الأشياء بدقة بحيث تواجه الزبون، هكذا! ولا تفسد ترتيب السلع. عصير الخضار مكانه هنا، وهنا مكان لبن الصويا.»

«هذا النوع من العمل لا يناسب الرجال!» تمتم. «فبعد كلِّ شيء، لم تتغير الأمور منذ العصر الحجري، أليس كذلك؟ يخرج الرجال إلى الصيد بينما تبقى النساء في البيت لجمع الفاكهة والأعشاب البرية أثناء انتظار عودة الرجال. هذا النوع من العمل يناسب أكثر عقلية النساء.»

«شيراها، نحن في القرن الحادي والعشرين! هنا في متجر البقالة نحن لسنا رجالًا ونساءً. نحن جميعًا عمال متجر، أوه، هنالك بعض المؤن في الحجرة الخلفية. دعنا نذهب ونصنفها معًا كي ترى كيف يتم الأمر.»

أخذت بعض المؤن من الثلاجة وشرحت لشيراها كيف يعيد ملء رفوف العرض قبل أن أسرع لإتمام عملي.

بينما أقوم بنقل بعض صناديق هوت دوغ فرانكفورت بالقرب من منضدة الحساب، لاحظت التجهّم يعلو وجه سوجاوارا أثناء ملئها ماكينة القهوة بالبن.

«هذا الفتي غريب الأطوار، أليس كذلك؟ لقد انتهى للتوّ من التدريب واليوم هو أول يوم له في العمل ولم يقض أي وقت على ماكينة النقود بعد، لكن ها هو يطلب مني أن أدعه يسجل طلبات المنازل!»

«حقًا؟»

حسنا على الأقل أبدى اهتمامه بشيء ما، وهو أمر ليس سيئًا بالضرورة، هكذا فكرت. نظرت سوجاوارا نحوي وابتسمت لي فتشكلت غمازتان في خديها الممتلئين.

«لا شيء يزعجك أبدًا، أليس كذلك مسز فوروكورا؟»

«ماذا؟»

«لا، لا شيء حقًا. أنت رائعة. المسألة أنني لا يمكنني احتمال هذه النوعية من الشبان. يتركون انطباعًا سيئًا عندي. لكن أنت، حسنًا، أحيانا تنضمين إلينا حين نتذمر أنا ومسز إيزومي من شيء ما، لكن لم أرك تشتكين أبدًا، أليس كذلك؟ لم أرك أبدًا تغضبين من عامل جديد مزعج.»

تسمّرت في مكاني جافلةً. انتابني شعور أن أحدهم قد أخبرني للتو أنني إنسان زائف؛ لذا أعدت ترتيب تعبير وجهي.

«هذا بعيد عن الحقيقة. أنا لا أدع مشاعري تطفو على السطح فقط.»

«واو، حقًا؟» قهقهت. «سأتفاجأ لو فقدت أعصابك أمامي يومًا، مسز فوروكورا.»

توقفت سوجاوارا عن الضحك بينما كان عليّ التركيز بشدة في الطريقة التي أحرك بها عضلات وجهي، وأتلفظ بالكلمات. أنقذني صوت سلة تُوضع على منضدة الحساب فالتفتُّ بسرعة لأرى زبونة دائمة للمتجر، تقف هناك وتتكأ على عكاز.

إيراشَيمسِي!

هتفت ثم بدأت أمرر جهاز الباركود لقراءة أسعار مشترياتها.

ضيقت المرأة عينيها وقالت: «هذا المكان لا يتغير أبدًا، أليس كذلك؟»

صمت للحظة قبل أن أجيبها: «أنت محقة. لا يتغير.»

مع ذلك، فإن مدير المتجر وعماله وعصي الأكل والملاعق وزي العمل، واللبن والبيض الذي مررته للتو على جهاز الباركود، والكيس البلاستيكي الذي أضعها فيه – كل تلك الأشياء لم تكن موجودة في المتجر منذ البداية. الأشياء نفسها موجودة دائمًا في أماكنها، لكنها تُستبدل باستمرار بأخرى جديدة. ربما من المنطقي القول إن المتجر لا يتغير أبدًا.

بينما أفكر في ذلك، أعلمت الزبونة بملء حنجرتي: «الحساب ثلاثمائة وتسعون ين من فضلكِ!»

***

في يوم الجمعة، يوم إجازتي، توجهتُ إلى الحي السكني في يوكوهاما، حيث تعيش أختي في بناية خاصة في المشروع الإسكاني الجديد المواجهة للمحطة. كان زوجها يستقل القطار إلى عمله في شركة كهرباء كل صباح، ويعود دائمًا في آخر قطار في المساء. الشقة ليست كبيرة لكنها جديدة ومؤثثة جيدًا.

«أهلًا، ادخلي! لقد تمكنت أخيرًا من إنامة يوتارو.»

«شكرًا،» قلتُ ثم دلفتُ على أطراف أصابعي. كانت أول مرة أزور فيها أختي بعد ولادة طفلها.

«ما إحساس أن تكوني أمًّا؟ لابد أنه عمل شاقّ!»

«نعم لكنني أعتاد على الأمر. الوضع أفضل الآن فلم يعد يوتارو يستيقظ كثيرًا أثناء الليل.»

عندما رأيت ابن أختي أول مرة من خلال النافذة الزجاجية في المستشفى، بدا ككائن فضائي، لكن الآن كبُر قليلًا ليصبح مع نمو شعره شبيهًا بالبشر أكثر.

جلسنا نأكل الكعك الذي جلبته معي. أعدت أختي شايًا عاديًّا من أجلي، وشاي ريبوس[1] خالي من الكافيين من أجلها.

«لذيذ. نادرًا ما أغادر البيت الآن مع وجود يوتارو؛ لذا لا تتاح الفرصة لي كي آكل مثل هذا الكعك.»

«أنا سعيدة أنه أعجبك.»

«كلما جلبت معكِ طعامًا، فأنك تذكرينني بأيام طفولتنا.» قالت بابتسامة مرتبكة. مسدتُ خدَّ ابن اختي بظهر إصبعي. بدا ملمسه ناعمًا بغرابة مثل لمس بَثْرَة.

«تعرفين عندما أنظر إلى يوتارو، أعتقد أنه مجرد حيوان أليف حقًا.» قالت أختي بسعادة. كان الطفل هشًّا ويصاب كثيرًا بالحمى لذا كانت أختي تشكو دائمًا إليّ. لم تستطع أن تمنع نفسها من القلق رغم أنها تعرف أن الحمى شيء شائع الحدوث في الأطفال، وأنه سيتحسن مع مرور الوقت.

«إذًا كيف حالك؟ هل يسير عملك بشكل جيد؟»

---

(1) نبتة الريبوس أو الشجيرة الحمراء ذات فوائد صحية كثيرة. تستخدم أوراقه المجففة في إعداد الشاي.

«بالتأكيد، كل شيء بخير. أوه، وقد ذهبت لرؤية ميهو والأخريات اللاتي عدن من السفر مؤخرًا.»

«ماذا؟ مجددًا؟! يا لهن من محظوظات! يجب أن تأتي لرؤية ابن أختك أكثر من ذلك.» قالت، ضاحكة.

لم أر أي اختلاف بين طفل ميهو وطفل أختي، ولم أفهم المنطق في قطع كل هذه المسافة إلى هنا فقط كي أراه. ربما لابد أن يكون هذا الطفل بالذات أكثر أهمية إليّ من غيره لسبب ما لا أفهمه. لكن حتى الآن باستثناء فروقات بسيطة كانوا جميعًا حيوانات صغيرة اسمها أطفال، وكلهم متشابهون تمامًا كما تشبه كل قطط الشوارع بعضها بعضًا.

«أوه، حين أفكر في الأمر، مامي، كنت أريد أن أسألك إذا كان يمكنك أن تأتي بعذر أكثر إقناعًا من أجلي. فحين أخبر الآخرين مؤخرًا أنني لست قوية جسديًا تلوح على وجوههم نظراتُ شك.»

«تمام، عليّ أن أفكر في الأمر مليًا. لكن على أية حال أنت لا تكذبين تمامًا. لا سبب يدفعكِ إلى الشعور بالخجل.»

«لكن بمجرد أن تتسلل إلى رؤوسهم فكرة أنني غير طبيعية لأنهنَّ يعتقدنَ أنهنَّ الطبيعيات، فسوف يهاجمنني، أليس كذلك؟ لذا من الأيسر أن أمتلك عذرًا أصدُّ به هجومهن.»

عندما يكون هنالك شيء غريب في حياتك، يعتقد الجميع أنهم يمتلكون الحق كي يقتحموها بشتى السبل كي يعرفوا السبب. أجد هذا السلوك متعجرفًا ومثيرًا للغضب، ناهيك عن أنه يسبب لي ألمًا في الرقبة. أحيانا تنتابني رغبة أن أضربهم بجاروف كي يغلقوا أفواههم اللعينة تمامًا كما فعلت في تلك المرة في المدرسة الابتدائية، لكن أتذكر كم غضبت أختي حين ذكرت

لها ذلك بشكل عابر من قبل لذا أبقيت فمي مغلقًا. كانت أختي طيبة معي منذ طفولتنا، ولم أرد أبدأ أن أجرحها لذا غيرت الموضوع وقلت بمرح: «أوه، تذكرت. لقد قابلت يوكاري لأول مرة منذ سنواتٍ طويلة. قالت لي إنني قد تغيرت كثيرًا.»

«لديها حق، أنت مختلفة قليلًا عما كنتِ من قبل.»

«حقًا؟ لكن ينطبق الأمر عليكِ أيضًا، مامي. أشعر أنك تبدين أكثر نضجًا من ذي قبل.»

«ماذا تعنين؟ أنا ناضجة منذ وقت طويل الآن.»

ظهرت تجعيدات حول عيني أختي، وباتت تتكلم بطريقة أكثر استرخاء، وكلُّ ملابسها متشابهة من دون أي تغيير. لابد أن هنالك الكثير من الأشخاص الذين يفعلون الشيء نفسه في حياتها الآن، فكرتُ.

بدأ الطفل بالبكاء. أسرعت أختي إلى حمله، وحاولت أن تهدهده. يا لها من ضوضاء، فكرتُ. نظرت إلى السكين الصغيرة التي قطعنا بها الكعك، ولا تزال موضوعة هناك على الطاولة. لو أن المسألة هي إسكاته فمن الممكن القيام بذلك بسهولة. فكرتُ. ضمّته أختي إلى صدرها أكثر. شاهدتهما بينما أمسح بقايا الكريمة التي خلفها الكعك على شفتيّ.

***

حين وصلت إلى المتجر في الصباح التالي، كان المتجر مغلفًا بجوٍّ غريب من التوتر. عندما اجتزت الباب الآلي، رأيت زبونًا معتادًا تعلو وجهه أمارات الخوف وهو يقف أمام رفِّ المجلات. عبرت سيدة تأتي دائمًا لشراء

القهوة من أمامي بسرعة، وخرجت من المتجر. يقف رجلان بالقرب من قسم المخبوزات ويتهامسان. تساءلت ماذا يحدث بحق السماء قبل أن أدرك أنهما يراقبان رجلًا في منتصف العمر، يرتدي بدلة فاخرة. كان يتجول في المتجر ويتحدث مع عدة زبائن. أصخت السمع كي ألتقط ما يقوله. كان يأمر الزبائن: «هاي، أنت هناك، توقف عن تلويث الأرض.» قال بصوت أجش لرجل يرتدي أحذية متسخة ثم التفت إلى سيدة تبحث عن شيء في قسم الشوكولاتة. «توقفي عن العبث بالسلع!» كان الكلُّ يراقبه بعصبية، خائفين من أن يكونوا التالين في قائمة التوبيخ. تجمع صف طويل ومائل من الزبائن أمام منضدة الحساب حيث يعمل دات-خان بشكل محموم على ماكينة النقود. كان المدير مشغولًا بطلبية سيتم تسليمها لنادي الجولف. توجه الرجل نحوهم، وزأر: «اصطفوا في نظام بطول الحائط، تمام؟ هيا بسرعة!»

بدا موظفو المكاتب منزعجين لكنهم كانوا يريدون أن ينهوا تسوقهم بسرعة ليعودوا إلى أشغالهم؛ لذا تجنبوا النظر إلى ذلك الرجل وتجاهلوه تمامًا. أسرعت إلى الحجرة الخلفية، وأخرجت زي العمل من خزانة ثيابي. راقبت كاميرا المراقبة بينما أبدل ملابسي. رأيت ذلك الزبون يتوجه إلى ركن المجلات حيث وبّخ بصوت عالٍ زبونًا أخرًا كان يقف هناك ويتصفح مجلة: «غير مسموح بقراءة المجلات داخل المتجر! هيا اشترها أو اتركها مكانها وغادر!»

حدق الشاب في وجه ذلك الرجل بانفعال قبل أن ينادي على دات-خان الذي لا يزال يعمل على ماكينة النقود بعصبية.

«هاي، من هذا الرجل؟ هل هو من الإدارة؟»

التفت دات-خان من مكانه أمام ماكينة النقود وقال: «لا، هو... مجرد زبون.»

«ماذا؟! أنت لا تعمل هنا حتى! من تظن نفسك بحق الجحيم؟» وجه الشاب السؤال ثم دفع بجسده الزبون المتسلط.» من يعطيك الحق كي تحشر أنفك فيما لا يعنيك؟»

من المفترض في حالة وجود أي مشكلة في المتجر، أن نترك للمسؤول الأعلى مهمة التعامل معها. وفقًا لتلك القاعدة، أنهيت ارتداء زيّي بسرعة ثم هرولت إلى منضدة الحساب لأتولى عمل المدير.

«شكرًا على المساعدة.» قال لي بهدوء ثم هرول مجتازًا منضدة الحساب وانسلّ بين الرجلين.

ناولت إيصال طلبية نادي الجولف إلى الزبون، بينما أبقي عينيّ على الموقف في حالة تطوره إلى مشاجرة. لو حدث هذا، فإن القاعدة أن أضغط على زر الإنذار فورًا لاستدعاء الأمن. في النهاية بدا أن المدير قد نجح في التعامل مع الموقف جيدًا. غادر الرجل المتسبب في المشكلة المتجر وهو يغمغم بكلمات غير مسموعة. سرت موجة من الارتياح في المتجر، وعاد جو المناوبة الصباحية إلى طبيعته.

يجب الحفاظ على بيئة متجر البقالة المثالية بأي شكل، والتخلص من أي عنصر دخيل قد يفسد أجواءه. وهكذا زال الجو المنذر بالسوء الذي عم المتجر لفترة قصيرة، وعاد الزبائن إلى التركيز من جديد في شراء القهوة والمعجنات كأن شيئًا لم يحدث.

«شكرًا لكِ، مسز فوروكورا، لقد قدمت عونًا كبيرًا.» قال المدير حين انتهى صف الزبائن الطويل أخيرًا، وعدت إلى الحجرة الخلفية.

«على الرحب والسعة. يسرني أن الأمر لم يتطور إلى شجار.»

«أتساءل ماذا كان يدور في رأس ذلك الرجل؟ لم أره هنا من قبل أبدًا.»

كانت مسز إيزومي موجودة بالفعل في الحجرة الخلفية فسألته: «هل حدث شيء؟!»

«لا شيء هام. مجرد زبون غريب الأطوار كان يتجول في المتجر.

وهو يصرخ ويلقي بالأوامر على الناس. من حسن الحظ أنه غادر قبل أن تحدث مشكلة حقيقية.»

«حقًا؟! هل هو زبون منتظم؟»

«لا، لم أره من قبل. لا أفهم ماذا كان يحاول أن يفعل. لم يبد كبلطجي، على أية حال إذا أتى مرة أخرى، تأكدوا من الاتصال بي فورًا. لا نريده أن يتسبب في أي مشكلة للزبائن الآخرين.»

«نعم، سنفعل بكل تأكيد.»

«حسنًا إذًا، يجدر بي العودة إلى البيت الآن. سأعود في المناوبة الليلية.»

«لابد أنك مجهد. أوه، هلا تحدثت مع شيراها من أجلي؟ فهو يتهرب من أداء واجباته، ولا يأخذ ما أقوله له بعين الاعتبار.»

تكاد تكون مسز إيزومي في مرتبة موظفة عليا لذا يمكنها أن تناقش مسائل العاملين هكذا مع المدير.

«يبدو عديم الفائدة حقًا. انتابني شعورٌ سيّئ بخصوصه منذ مقابلة العمل الأولى. الطريقة التي يُحِطُّ بها من قدر الوظيفة قائلًا إنه مجرد متجر بقالة كما لو كان يتهكم على العمل. لو كان الأمر كذلك، لماذا تقدم إلى الوظيفة من الأساس؟! لقد قبلت تعيينه فقط لأننا نعاني من نقص في العمالة، لكن هو لا ينصت إليك إلا إذا تهجأت كل كلمة له.»

«يتأخر كثيرًا أيضًا. من المفترض أن يكون هنا منذ التاسعة لكنه لم يصل

بعد.» قالت مسز إيزومي وهي تقطّب حاجبيها

«كم عمره؟»

«خمسة وثلاثين تقريبًا، شيء مثل هذا. ويتقدم إلى وظيفة كهذه! أنه حالة ميؤوس منها، أليس كذلك؟» استطرد، «مهنة لا مستقبل لها... نهاية مسدودة. الأسوأ... مجرد عبء على المجتمع. يجب أن يؤدي الجميع الدور المنوط بهم نحو المجتمع إمّا من خلال العمل أو تكوين أسرة.»

أومأت مسز إيزومي بشدة قبل أن تلكز المدير بكتفها حين تذكرت وجودي في الحجرة.

«لكن أحيانًا هنالك ظروف استثنائية مثل حالة مسز فوروكورا، التي نتفهمها جميعًا.»

«أوه، نعم، بالطبع. في حالة مسز فوروكورا، ليس باليد حيلة. كما أن الأمر مختلف بالنسبة للرجال والنساء!» أضاف المدير في عجالة.

قبل أن أتمكن من الرد، استطرد: «شيراها فاشل. لقد لمحته يعبث بهاتفه المحمول أثناء عمله على ماكينة النقود!!»

«لقد رأيته أيضًا.» أكدت مسز إيزومي.

«ماذا؟ أثناء العمل؟» سألتُ بتعجبٍ.

كانت قاعدة جوهرية ألا تحمل هاتفك معك أثناء العمل. لم أفهم لماذا انتهك قاعدة بسيطة ومباشرة كتلك.

«كما تعرفين، أقوم دائمًا بتفقد كاميرا المراقبة لأرى ماذا يحدث في غيابي، وشيراها جديد في العمل لذا أضع عيني عليه لأرى كيفية أدائه للعمل. يمنحك انطباعًا ظاهريًا أنه لا بأس به لكنه يهمل العمل باستمرار.»

«آسفة، لم ألحظ ذلك.»

«لا، لا، لم تخطئي كي تعتذري، مسز فوروكورا. أنت تبلين بلاء حسنًا في تحيّة الزبائن، عليَّ أن أقول لك ذلك. في كل مرة أتفقد الكاميرا، تثيرين إعجابي بمدى تفانيك في العمل. أنت رائعة حقًا. لا تأخذين إجازات أبدًا ولا تقصرين في عملك.»

يراجع المدير#8 شرائط المراقبة ويعلم أنني عضو مخلص وجدير بثقة هذا المتجر! شعرت بنشوة غامرة لهذا الاكتشاف.

«شكرًا لك!» قلت ثم انحنيت بشدة.

في تلك اللحظة انفتح الباب ودخل شيراها.

«أوه.... صباح الخير.» قال بسأمٍ من دون أن يوجه حديثه لأحد بعينه. كان صوته بالكاد مسموعًا.

كان مجرد جلد على عظم. يمكنني رؤية الحمالات التي ترفع بنطاله من خلال قميصه الأبيض. بدا جلد ذراعيه كما لو أنه ملتصقٌ تمامًا بالعظم تحته. تساءلت كيف تبقى أعضاؤه الداخلية في موضعها داخل هذا الجسد الهزيل.

«شيراها، أنت متأخر!! من المفترض أن تكون قد بدّلت ثيابك، وجاهزًا لبدء الجلسة الصباحية منذ خمس دقائق! وتأكد من أن تلقي التحية بشكل مناسب على الجميع، وأن تعلو وجهك البشاشة والسرور حين تقول «صباح الخير» عند وصولك للعمل. تذكر كذلك أن من الممنوع منعًا باتًا استخدام هاتفك المحمول إلا في فترات راحتك. تأخذ هاتفك معك أثناء العمل على ماكينة النقود، أليس كذلك؟ لقد رأيتك تعبث به.»

«أوه... آه، آسف....» كان الارتباك جليًا على وجه شيراها. «أمم، تعني

بالأمس؟ هل كنتِ تراقبينني، مسز فوروكورا؟» بدا أنه يعتقد أنني من وشيت به.

«لا،» قلت وأنا أهز رأسي.

«الكاميرا، شيراها.» قال المدير. «كاميرا المراقبة! أثناء مناوبتي الليلية، أتفقد دائمًا ما جرى في المتجر صباحًا. حسنًا، ربما لم أشرح لك قاعدة عدم استخدام الهاتف المحمول بوضوحٍ كاف، لكن لا تفعل ذلك ثانية، تمام؟»

«أوه، تمام. لم أكن أعرف. آسف.»

«حسنًا، لا تكرر ذلك! مسز إيزومي، هلا أتيتِ معي إلى داخل المتجر؟ أريد أن أخصص الرفوف في نهاية الممرات لهدايا الصيف. أريد أن تُعرض على مساحة أكبر هذا العام.»

«بالتأكيد. لقد وصلت عينات من الهدايا بالفعل، أليس كذلك؟ يمكنني أن أساعدك.»

«أريد أن ننتهي منها اليوم. أريد أن أضع رفًا إضافيًا في الأسفل من أجل هدايا الصيف المتنوعة لذا علينا أن نغير ارتفاع الرفوف كلها. هل يمكنكما مسز فوروكورا وشيراها أن تجريا الجلسة الصباحية بمفردكما؟ على أن أهتم بموضوع الهدايا أولًا.»

«أجل، سنفعل.» قلت.

بمجرد أن غادر المدير ومسز إيزومي الحجرة الخلفية، تململ شيراها في مكانه بينما يعلو وجهه تعبير اذراء. حين تطلعت إليه، قال غاضبًا:

«ها! أنه يتحدث بتعالٍ لا يناسب مدير متجر بقالة متواضع كهذا.»

عندما تعمل في متجر بقالة، فإن الناس عادة ما ينظرون إليك باحتقار.

أجد هذا مذهلًا، وأحب أن أطيل النظر في وجوههم عندما يفعلون ذلك معي. ما أفكر فيه هو دائمًا ما أفعله من دون تردد، وهكذا لابد أن يكون الإنسان. أحيانًا حتى العاملون في متجر بقالة ينحازون ضد مهنتهم. قبل أن أدرك ما كنت أفعله، نظرت مباشرة إلى وجه شيراها. أجد النظرة في عيون الناس حين أرمقهم بنظرة واثقة ومتحدية، مثيرة للاهتمام. أرى نظرة حذر أو خوف من أن يُثبَت زيف ادعائهم، وأحيانًا أخرى أرى بريق عدوانية تعكس استعدادًا للدخول في مشاجرة عند أي هجوم. وإذا لم يدركوا طبيعة نظراتي، فإن عيونهم تعكس مزيجًا من النشوة والإحساس بالتفوق.

نظرت في عيني شيراها. لم أر سوى التعصب في أبسط صوره. ثم كأنه استشعر نظرتي إليه، ففتح فمه كي يتحدث كاشفًا عن أسنانه الصفراء. من الواضح أنه لم يقم بزيارة طبيب أسنان منذ مدة طويلة. مكتبة سُر مَن قرأ

«من يظن نفسه كي يستغل مركزه بهذه الطريقة.» استطرد: «عُيِّن في هذا المنصب فقط كي يدير متجر صغير مثل هذا؛ لذا في نهاية المطاف هو إنسان فاشل، أليس كذلك؟ مجرد قذارة عديمة الفائدة.»

كانت كلماته قاسية، لكنه تمتم بها بسرعة جدًّا لذا لم أشعر أنه غاضب كل هذا الغضب حقًا. حسب فهمي هنالك نوعان من المتعصبين: نوع يمتلك رغبة مُتجذرة للتعصب، ونوع آخر يكرر من دون تفكير وابلًا من الشتائم اللاذعة التي سمعها في مكان آخر. بدا إليَّ أن شيراها ينتمي إلى النوع الثاني. استمر في التمتمة بسرعة متلعثمًا في نطق الكلمات من حين إلى آخر.

«كل شخص هنا فاشل وغبيّ. ينطبق ذلك على كل متاجر البقالة. ستجدين فقط ربات البيوت اللاتي لا يستطعن تدبير أمور البيت برواتب أزواجهن، والباحثين عن وظائف مؤقتة بدون أي تخطيط للمستقبل، وأسوأ الطلبة الذين لا يمكنهم الحصول على وظائف أفضل، أو أجانب يعملون

كي يرسلوا رواتبهم إلى بلادهم. الكل هنا فشلة.»

«أرى ذلك.»

كان يشبهني حقًا: يلقي بكلمات تبدو صادرة عن البشر بينما في حقيقة الأمر لا يقول أي شيء على الإطلاق. لكن من الجليّ أنه يحب كلمة «فاشل». لقد استخدمها مرات عديدة في فترة وجيزة من الزمن. أتذكر ما قالته سوجاوارا: «يشعرني شيراها بالتقزز خاصة حين يستخدم مهارته في اختلاق الأعذار بينما هدفه الحقيقي هو التملص من العمل.» أومأتُ لها حينها.

خطر ببالي سؤال بسيط فطرحته عليه.

«لماذا أتيت إلى العمل هنا، شيراها؟»

«أبحث عن زوجة.» قال، كما لو أنه جوابٌ عادي.

«ماذا؟» هتفت بتعجب. سمعت كل أنواع الأسباب من قبل. «المتجر قريب من البيت.» أو «يبدو العمل ممتعًا.». لكن كانت هذه هي أول مرة أقابل فيها شخصًا أتى للعمل في متجر سعيًا وراء شريكة للزواج.

«لكن كان ذلك فشلًا ذريعًا» قال شيراها. «لا توجد أي امرأة هنا يمكن أن تكون زوجة مناسبة. الشابات هنا متقلبات المزاج، والأخريات كبيرات جدًا بالسن.»

«حسنًا، معظم العاملات طالبات جامعة، ومن الصعب أن تجد إحداهن في سن الزواج.»

«بعض الزبائن معقولات نسبيًا لكن معظمهن متعجرفات للغاية. هذا المكان محاط بشركات ضخمة، ونوعية النساء اللاتي يعملن فيها متعاليات جدًا.»

لا أدرى إلى من كان يعتقد أنه يوجه كلامه بالتحديد لكن طوال حديثه كان يحدق باتجاه لافتة على الحائط مكتوب عليها:

دعونا نصل لأهدافنا فيما يتعلق بالهدايا الصيفية!

«تسعى كل واحدة لاصطياد شاب يعمل معها في نفس الشركة. لا ينظرن إليّ حتى. هكذا كانت النساء منذ العصر الحجري. أصغر وأجمل الفتيات في القرية من نصيب الصيادين الأقوى بينما على بقيتنا أن نَقنع بما تبقى. مجتمعنا الذي يُسمى بالحديث ما هو إلا محض وهم. نحن نعيش في عالم بالكاد شهد أي تغيير منذ عصور ما قبل التاريخ. ربما لا نتوقف عن الحديث عن مسألة المساواة بين الجنسين لكن.»

«شيراها، غير ملابسك بزي العمل، من فضلك. إذا لم نبدأ الجلسة الصباحية الآن فلن ننتهي في الموعد.» قلت له كي أضع حدًا لحديثه المتذمر ضد الزبائن.

التقط حقيبة ظهره على مضض وتوجه إلى خزانة ملابسه، وهولا يزال يتحدث مع نفسه. حشر حاجياته في الخزانة وأخرج زيه. بينما أراقبه، خطر ببالي الرجل الذي طرده المدير من المتجر مبكرًا.

«أمم، هل تدرك أنك ستُعاقب؟»

«ماذا؟» سألني كما لو أنه لم يسمعني جيدًا.

«أوه، لا شيء. أسرع وغيّر ثيابك كي نقوم بالجلسة الصباحية.»

يجب أن تظل بيئة متجر البقالة طبيعية لذا من يحاول إفسادها من أمثالك، فسوف يُعاقب ويُوضع عند حده. فكرت دون أن أقول ذلك بصوت مرتفع.

***

مكتبة
t.me/soramnqraa

عندما وصلتُ إلى المتجر في صباح الاثنين، وجدت علامة (X) حمراء كبيرة على اسم شيراها في لائحة المناوبة الصباحية. ظننتُ أنه أخذ اليوم إجازةً بشكل مفاجئ حين رأيت مسز إيزومي تدخل إلى المتجر رغم أنه يوم إجازتها.

«صباح الخير! أمم. ماذا حدث لشيراها؟» سألتُ المدير حين أنهى المناوبة الليلية وأتى إلى الحجرة الخلفية.

«أوه، شيراها...» تبادل نظرةً متوترةً مع مسز إيزومي.

«تناقشنا في الأمر بالأمس، وقررنا طرده من العمل.» قال المدير بعدم اكتراث. لم يفاجئني الأمر كثيرًا. «كنت مستعدًا للتغاضي عن فتوره في العمل، وعن أكله من الطعام المعروض للبيع سرًّا لكن حين عادت سيدة، زبونة دائمة كي تستعيد مظلتها التي نسيتها هنا، بدأ يتحرّش بها، وينقل رقم هاتفها من إيصال خدمة التوصيل ويحاول معرفة عنوان بيتها. أدركت مسز إيزومي ما كان يحدث وراجعت فيديو المراقبة لتتأكد. لذا تحدثت معه وأخبرته أن يترك العمل.»

يا له من أحمق!، فكرتُ. أحيانًا يكسر عمال المتجر قواعد هينة، لكن لم أسمع أبدًا عن شيء فظيعٍ كهذا. الحظ فقط من منع الأمرَ من التفاقمِ. كان بإمكان المرأة استدعاء الشرطة.

«كان الفتى غريب الأطوار من البداية. لقد اكتشفنا أنه حصل على رقم هاتف فتاة في المناوبة الليلية من سجلّات المتجر، وبدأ يتصل بها ثم انتظرها في الحجرة الخلفية كي يعرض عليها الذهاب معه إلى بيته. لقد حاول حتى أن يتقرّب من مسز إيزومي المتزوجة. أتمنى لو كان قد وضع هذا المجهود الضائع في أداء عمله! أنت لا تحبينه أيضًا مسز فوروكورا؟» قال.

عبسَتْ مسز إيزومي.

«رؤيته كانت تصيبني بالاشمئزاز. يا له من إنسان شاذ. عندما فشل في التقرب من عاملات المتجر، قرر أن يحاول مع زبائنه! يا له من سلوكٍ مخزٍ. كان يجدر بنا استدعاء الشرطة لتقبض عليه.»

«أوه، لا تبالغي، لم يتخطَّ حدوده لهذه الدرجة، ليس بعد على الأقل.»

«التحرش جريمة، كما تعرف، جريمة! مع أمثاله، كلما ألقي به في السجن بسرعة، كلما كان أفضل.»

رغم جدالهما، بدأ يعمُّ المتجرَ جو من الارتياح. فبعد رحيل شيراها، عاد المتجر مكانًا مسالمًا وهادئًا كما كان قبل وصوله، وصار الجميع مبتهجين وثرثارين بغرابة كما لو أنهم قد انتعشوا بمجرد زوال مصدر الإزعاج.

«لأكن صادقة، كان يثير أعصابي. وكنت أفضل أن نعاني من عجز في العمالة على وجوده!» قالت سوجاوارا بابتسامة حين وصلت إلى المناوبة الصباحية. «كان أسوأ شخص عَمل هنا، يختلق الأعذار دائمًا، وإذا حذرته من تقصيره في العمل، يبدأ بالحديث عن العصر الحجري. كان مخبولًا، إذا سألتني.»

«أوه، نعم! ذلك الأمر.» قالت مسز إيزومي وهي تنفجر ضاحكة. «مسألة العصر الحجري تلك كانت غريبة جدًا. ماذا كان يحاول أن يقول؟ هراء تام!» ثم التفتت إلى المدير. «رجاء، لا توظف شخصًا مثله مرة أخرى.»

«حسنًا، كان ذلك اضطراريا لأن عددنا كان قليلًا جدًا.»

«الطرد من وظيفة غير رسمية وبدوام جزئي في متجر بقالة وفي سنه هذه!، أنه شخص ميؤوس منه حقًا. سيصنع لنا معروفًا إذا سقط ميتًا، أتحدث بكل جدية.»

ضحك الجميع.

«سيكون فعلًا قد صنع معروفًا.» قلت وأنا أومئ برأسي. لو صرت يومًا جسمًا دخيلًا، فسوف أُطرَدُ بالطريقةِ نفسها.

«يجب علينا إيجاد بديل. من الأفضل أن أضع إعلانًا.»

وهكذا استُبدِلَت خلية من خلايا المتجر مرة أخرى.

بعد انتهاء الجلسة الصباحية والتي كانت مفعمة بالحيوية أكثر من المعتاد، مشيت في طريقي إلى ماكينة النقود حين وقع بصري على امرأة عجوز تسير بعكاز، وتحاول الوصول إلى شيء في رفٍّ سفلي. انحنت بجسدها بشدة لدرجة بدا أنها ستنقلب على رأسها في أي لحظة.

«دعيني أساعدك! هل هذا ما تريدينه؟» سألت وأنا ألتقط برطمانًا من مربى الفراولة.

«شكرًا لك!» قالت بابتسامة.

حملت عنها السلة إلى منضدة الحساب بينما تبحث عن محفظتها في حقيبة يدها لتدفع.

غمغمت قائلة «هذا المكان لا يتغير أبدًا، أليس كذلك؟»

في الحقيقة، طُرِدَ أحدهم من هنا اليوم، فكرتُ. لكن اكتفيت بـ «شكرًا لك» مقتضبة، وبدأت بتمرير جهاز الباركود على مشترياتها.

ذكرتني هيئتها بهيئة أول زبونة للمتجر على الإطلاق عند افتتاحه منذ ثمانية عشر عام. كانت تلك الزبونة ترتاد المتجر يوميًا أيضًا حتى أدركتُ يومًا ما أنها انقطعت عن القدوم. ربما تدهورت صحتها أو ربما انتقلت إلى حي آخر. لا يمكننا معرفة ما حدث. لكن ها أنا هنا أكرر مشهد اليوم

الأول نفسه. منذ ذلك اليوم، ألقينا تحية الصباح على الزبائن كل يوم أي **ستة آلالاف وستمائة وسبع مرات!**

وضعت البيض بحرص في الكيس. البيض نفسه الذي بعته لها بالأمس لكنه بالطبع بيض مختلف. وضعت عصيّ الأكل نفسها في الكيس نفسه كما حدث بالأمس، دفعَت المبلغ نفسه. ناولتها الباقي نفسه ومنحتها الابتسامة نفسها!

***

راسلتني ميهو على الهاتف المحمول كي تعلمني أنها ستقيم حفل شواء في بيتها يوم الأحد. كنت قد وعدتها أن أساعدها في التسوق في الصباح حين رن هاتفي. كان اتصالًا من أمي.

«كيكو، ألم تقولي إنك ذاهبة إلى بيت صديقتك ميهو غدًا؟ لماذا لا تمرين علينا بعد ذلك؟ والدك مشتاقٌ إليك.»

«أمم، لا أعتقد أنني سأستطيع. أحتاج أن أكون في حالة جسدية جيدة من أجل العمل في صباح اليوم التالي، لذا من الأفضل أن أعود إلى البيت مبكرة.»

«حقًا؟ يا له من حظ سيّئ... تذكرين أنك لم تأت في رأس السنة أيضًا. رجاء زورينا قريبًا.»

«تمام.»

كنا نعاني من عجز في العمالة في رأس السنة لذا اضطررت إلى العمل كل يوم في الإجازة. متجر البقالة مفتوح 365 يومًا في السنة، ولا يستطيع الكثير

من العمال الدوام في رأس السنة، فربات البيوت مشغولاتٌ بعائلاتهن، والطلبة الأجانب يعودون لقضاء العطلة مع آبائهم وأمهاتهم. لكن حين عرفت بالمأزق الذي يواجه متجر البقالة، قررتُ الحضور للعمل من دون تردد.

«حسنًا، كيف حالك؟» تابعت أمي. «تقضين كل النهار واقفة على قدميك، لابد أن الأمر مُتعبٌ. أمم، كيف تسير الأمورُ معك مؤخرًا؟ ما الجديد؟»

سماعها وهي تحاول التطفل على حياتي هكذا، جعلني أشعر أنها لا تزال تأمل في حدوث تطور جديد في حياتي. ربما بدأت تمل قليلًا من حقيقة أنني لم أحرز أي تقدم على الإطلاق طوال ثماني عشرة سنة.

حين قلتُ لها أنّ كل شيء بخير كالعادة، بدا أنها قد شعرت بالارتياح والإحباط في آنٍ واحد.

بعد أن انتهت المكالمة، نظرت إلى نفسي في المرآة. لقد كبُرتُ في العمر منذ إعادة ولادتي كعاملة متجر بقالة. لم يزعجني ذلك باستثناء أنني بدأت أتعب أسرع من ذي قبل. أحيانًا أتساءل عن مصيري حين أبلغ سنًّا لا يمُكِنني من العمل في المتجر.

أضطر المدير #6 أن يترك المتجر حين أصيب في ظهره، وصار عاجزًا عن العمل. كي أتأكد من عدم حدوث ذلك لي، عملت على المحافظة على جسدي في شكل جيد من أجل المتجر.

في الصباح التالي ساعدت ميهو في التسوق من أجل حفل الشواء كما وعدتها. عند الظهر، حضر زوج ميهو، وزوج ساتسوكي وبعض الأصدقاء الذين يقطنون بالجوار. كانت أول مرة نجتمع فيها منذ سنوات. من الأربعة

عشر أو خمسة عشر مدعوًا، كان هنالك اثنتان فقط لم تتزوجا بالإضافة إليّ. لم أفكر في هذا الأمر لأن المتزوجين لم يأتوا كلهم كثنائي إلى الحفل. بعض المتزوجين أتوا بمفردهم. همست ميكي في أذني: «نحن فقط من لا يمكنه رفع رأسه عاليًا هنا، أليس كذلك؟»

«لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة رأيت فيها الجميع، متى كانت؟ احتفال الهانامي[1]؟»

«نفس الامر بالنسبة إليّ.»

«إذًا، ماذا تفعلون هذه الأيام؟»

كانت هذه هي المرة الأولى التي يعود فيها عدد من الأصدقاء المدعوّين ممن تغيبوا عن الحي لمدة طويلة؛ لذا كنا نخبر بعضنا بعضًا بالتطورات التي طرأت على حياتنا.

«أعيش في يوكوهاما الآن؛ ذلك يناسب عملي الجديد.»

«أوه، هل غيرتِ وظيفتك؟»

«نعم، أعمل الآن في شركة لتصميم إكسسورات الموضة. كان الجو في الوظيفة السابقة حسنًا. تعرفين الأمر.»

«لقد تزوجت وأعيش الآن في سايتاما. لكن لا أزال في الوظيفة نفسها.»

«كما ترين، فقد أنجبت طفلًا، وأقضي إجازة الأمومة.» قالت يوكاري.

حان دوري.

---

(1) الهانامي: تعني باليابانية مشاهدة الزهور وهو احتفال ياباني لاستقبال الربيع، يتمثل في تأمل الزهور في موسم تفتحها خاصة زهور أشجار الكرز (الساكورا).

«أعمل بدوام جزئي في متجر بقالة. صحتي....»

كنت على وشك أن أقول العذر الذي اخترعته أختي لي عندما مالت إيري إلى الأمام. «دوام جزئي؟ أوه، ذلك يعني أنك تزوجت!» قالت كما لو كان الأمر بديهيًّا. «متى تزوجتِ؟»

«لا، لم أفعل،» أجبتها.

«إذًا لماذا تزاولين هذه المهنة فقط؟» سألت ماميكو بحيرة.

«حسنًا، ترين، صحتي...»

«كما ترون، كوميكو ليست قوية جسمانيًا، ولهذا لا يمكنها العمل في مهنة منتظمة.» قالت ميهو لتساعدني.

هممت بشكرِ ميهو على توضيحها الأمر بالنيابة عني لكن تدخل زوج يوكاري في الحديث قائلًا بريبةٍ: «ماذا؟ لكن عليك الوقوف على قدميك طوال اليوم في وظيفة كهذه.»

كان اليوم هو أول مرة أقابله فيها وها هو يميل إلى الأمام ويعبس في وجهي كما لو كان يتساءل عن سبب وجودي في الحياة!

«حسنا لا أملك أي خبرة لامتهان وظائف أخرى، والمتجر مريح بالنسبة إليّ جسديًا وذهنيًا.»

حدّق نحوي كما لو كنت كائنًا فضائيًا.

«ماذا؟ لم تبحثي أبدًا...؟ أعني إذا كان العثور على وظيفة أمرًا صعبًا جدًا، يجدر بك الزواج على الأقل. في أيامنا هذه، هنالك دائمًا أشياء مثل مواقع الزواج الإلكترونية، كما تعرفين.» كان يبصق أثناء الكلام.

بينما أراقبه، رأيت بعضًا من بصاقه يتطاير، ويسقط على لحم الشواء. كان

يجدر به تجنب الإمالة إلى الأمام في اتجاه الطعام وهو يتحدث، فكرتُ. في تلك اللحظة بدأ زوج ميهو في الإيماء بشدة موافقةً على كلامه.

«هذا صحيح. لماذا لا تجدين شخصًا ما؟ لا يهم حقًا من هو. الأمور أسهل بالنسبة للنساء في هذه المسألة. لو كنتِ رجلًا لكان الأمر كارثيًا.»

«ما رأيك إذا وجدنا شخصًا مناسبًا لك؟ يوجي، لديك دائرة معارف واسعة، أليس كذلك؟» سألت ساتسوكي.

«نعم، فكرة عظيمة!» هتفت ميهو والآخرون بحماسة.

«هل يخطر أحدهم في بالكم؟ لابد أن هنالك شخصًا مناسبًا من أجلها.»

همس زوج ميهو في أذنها ثم رسم على وجهه ابتسامة مصطنعة.

«أوه، لكن كل أصدقائي متزوجون الآن... لا، لا يخطر ببالي أحد.»

«إذًا لماذا لا تسجلين في أحد مواقع الزواج؟ يجب أن نلتقط لك صورةً الآن كي تستخدميها كصورة للبروفايل. في هذه المسائل من الأفضل ألا تستخدمي صورة التقطتها لنفسك. ستعطين انطباعًا أفضل وتتلقين الكثير من الردود إذا كنتِ محاطة بعدد كبير من الناس مثل حفل الشواء هذا.»

«نعم، هذا صحيح! هيا، دعونا نلتقط الصورة الآن!» قالت ميهو.

ضحك زوج يوكاري ضحكة مبتذلة قائلًا: «نعم هذه فرصة ذهبية!»

«فرصة؟ هل تعتقدون حقًا أن هذا سيسفر عن أي شيء جيّد؟» سألتُ بسذاجة.

علا وجهه الضيق. «حسنًا، الأمر يستحق المحاولة. كلما أسرعت كلما كان أفضل. لا يمكنك المضي في حياتك هكذا، ولابد أن اليأس قد بدأ يتسلل إليك، أليس كذلك؟ بمجرد أن تتجاوزي سنًّا معينة سيصبح من العسير أن

تتزوجي.»

«لا يمكنني المضي هكذا؟ تعني أنني لا يجب ان أعيش بالطريقة التي أعيشها الآن؟ لماذا تقول شيئًا كهذا؟»

أردت حقًا أن أعرف لكن سمعت زوج ميهو يغمغم بصوت منخفض: «أوه، هذه هي ردة الفعل حين تُواجَه بالحقيقة.»

«أشعر باليأس يتسلل إليّ أيضًا.» قفزت ميكي إلى الحوار ثم استطردت بنبرة أهدأ: «لكني أسافر في رحلات عمل دائمًا. كيف سأتزوج؟»

«حسنًا، لكنك تمتلكين وظيفة عالية الأجر، ميكي.» قال زوج يوكاري بلطف. «تكسبين أكثر من معظم الرجال مما يجعل عثورك على رفيق حياة متكافئ أمرًا صعبًا جدًا.»

«أوه، اللحم يحترق! اللحم!» صاحت ميهو مُشتتة انتباه الناس. تنفَسَتْ الصعداء حين بدأ الجميع في تناول الأطباق، والانشغال بالأكل. كان الجميع يقضم اللحم الذي رشه زوج يوكاري بلعابه أثناء الحديث.

ما حدث بعد ذلك كان مشابهًا لذلك الوقت في المدرسة الابتدائية، أعطاني الجميع ظهورهم وبدأوا ينفرون مني، ويحدّقون نحوي بفضول من فوق أكتافهم كما لو كانوا يتأملون نموذجًا لحياة بشعة مريعة.

أوه، فكرتُ بذهول، لقد صرت عنصرًا دخيلًا. رأيت في عقلي شيراها الذي أجبر على ترك المتجر. ربما سيأتي الدور علي. لا يملك العالم مكانًا للاستثناءات، ودائمًا ما يتخلص بهدوء من العناصر الدخيلة. أي شخص غير طبيعي، سيلفظه العالم. لهذا أحتاج إلى الشفاء. لو لم أشف، سيسعى الناس الطبيعيون إلى تهذيبي بأنفسهم. أخيرًا فهمت لماذا بذل أهلي قصارى جهدهم لإصلاحي.

شعرت بحاجتي إلى سماع صوت متجر البقالة، لذا في طريق عودتي إلى البيت من منزل ميهو في تلك الليلة، مررت على المتجر.

«مرحبا، مسز فوروكورا. ماذا هناك؟»

كانت طالبة المدرسة الثانوية التي تعمل في المناوبة الليلية مشغولة ببعض أعمال التنظيف لكنها توقفت عندما لمحتني.

«أليس اليوم هو يوم إجازتك؟»

«نعم أنت محقة. ذهبت لزيارة والديّ لكن فكرت أن أراجع بعض الطلبيات في طريق عودتي إلى البيت.»

«واو رائع. أنت متفانية في عملك حقًا.»

كان المدير قد وصل مبكرًا، ودخل إلى الحجرة الخلفية.

«مساء الخير. هل أنت على وشك أن تبدأ مناوبتك؟» سألتُه.

«أوه، مسز فوروكورا، ما سبب قدومك إلى هنا الآن؟»

«لقد عدتُ من زيارتي لأهلي مبكرة. وجدت نفسي بالقرب من المتجر فقررت الدخول وترتيب بعض الطلبيات.»

«أوه، تقصدين طلبيات الحلوى؟ لقد اهتممت بها سابقًا هذا اليوم، لكن يمكنك مراجعتها من أجلي لو أحببت ذلك.»

بدا وجه المدير شاحبًا قليلًا. ربما لا يحظى بالقدر الكافي من النوم. جلست أمام الكومبيوتر وبدأت العمل.

«كيف تسير الأمور في المناوبة الليلية؟ هل تعتقد أنك ستتمكن من تعيين عامل جديد؟»

«لا، ليس حقًا. أجريت مقابلة مع شخص ما لكن لم أعينه. بعد ما حدث مع شيراها، من الأفضل أن أتأكد من تعيين شخص يمكننا الاستفادة منه حقًا في المرة القادمة.»

يستخدم المدير عادةً عبارة «شخص يمكننا الاستفادة منه». أتساءل إذا كنت شخصًا يمكن الاستفادة منه أم لا! ربما أعمل لأنني أريد أن أكون أداة مفيدة.

«كيف كان يبدو؟»

«أوه، معقول، لكن بالنسبة لعمره، هو متقاعد بالفعل وترك عمله السابق بسبب آلام في الظهر. وقال إنه يريد أن يتمكن من أخذ إجازة من العمل عندما تنتابه هذه الآلام. ربما أوافق إذا كان سيعلمني بذلك مبكرًا، لكن أن يطلب إجازة في آخر دقيقة، فربما من الأفضل أن أتولى أنا المناوبة الليلية بمفردي على أن أعين شخصًا مثله.»

«أفهم قصدك.»

عندما يكون عملك عملًا بدنيًا، فسينتهي بك المطاف عديم الفائدة حين تتدهور حالتك الجسدية. مهما عملتُ بجد، مهما كنتُ جديرة بالثقة، حين يشيخُ جسمي، فلا شك أنني ككل سأصبح جزءًا باليًا لا نفع يرجى منه ويجب استبداله.

«أوه، مسز فوروكورا، هل يمكنك العمل الأحد القادم في فترة بعد الظهر فقط؟ سوجاوارا لديها حفل موسيقى مع الفرقة ولن تستطيع القدوم.»

«نعم، يمكنني.»

«حقًا؟هذه مساعدة عظيمة منكِ!»

في الوقت الراهن، لا أزال أداة مفيدة. شعرت بمزيج من الارتياح والتوتر، وأنا أقول مقلدة أسلوب سوجاوارا في الكلام. «لا، أنا أحاول كسب بعض المال الإضافي وحسب؛ لذا لا مانع عندي من العمل لساعات إضافية.» ثم رسمتُ ابتسامة على وجهي.

***

لمحت شيراها بالصدفة، وهو يقف خارج المتجر. كان الوقت ليلًا. وقعت عيناي على ظلٍ واضحِ المعالم في زاوية شارع في حي المكاتب المهجور في هذا الوقت، فذكرني ذلك بلعبة كنت ألعبها في طفولتي. كنت أحدق بشدة اتجاه ظلي على الأرض ثم أنظر بسرعة نحو السماء لأرى انعكاسه هناك في الأعلى لثوانٍ قليلة. ضيقتُ حدقتي لأرى لمن هذا الظل المتكون على الجدار. بينما أقترب منه، أدركت أنه شيراها. كان يسير بعصبية بالقرب من مبنى، محاولًا أن يبقى بعيدًا عن الأنظار. بدا كما لو أنه ينتظر قدوم الزبونة التي كان قد تحرش بها. تذكرت قول المدير أن تلك السيدة تمر دائمًا بالمتجر في طريق عودتها من العمل إلى البيت كي تشتري فاكهة مجففة.

«شيراها، المرة القادمة سيستدعون الشرطة، تعرف ذلك.» هتفت، وأنا أتسلل من ورائه كي لا يراني. التفت مفزوعًا وهو يرتجف بشدة فاجأتني. حين أدرك أنها أنا، عبس بوجهه.

«اللعنة، أنتِ، مسز فوروكورا؟!!»

«لماذا تختبئ هكذا؟ مضايقة الزبائن من أشد المحرمات على عامل متجر كما تعرف.»

«لم أعد عامل متجر بعد الآن.»

«حسنًا لكني لا أزال، ولا يمكنني التغاضي عن أمر كهذا. لقد حذرك المدير بخصوص هذا الأمر، ألم يفعل؟ هو موجود داخل المتجر الآن، لذا ربما عليَّ الذهاب لاستدعائه.»

فرد شيراها ظهره، ورفع هامته وهو ينظر إليّ كما لو كان يحاول إرهاب «ماذا يمكن لفاشل وعبد لوظيفته الحقيرة مثله أن يفعل؟ لم أرتكب أي خطأ. لو اشتهيت امرأة فسوف أجعلها ملكي. أليست هذه هي التقاليد بين الرجال والنساء منذ قديم الأزل.»

«شيراها، لقد قلت من قبل أن الرجال الأقوياء هم من يظفرون بالنساء. أنت الآن لست قويًا، مجرد عاطل، أنت تناقض نفسك.»

«صحيح أنني لا أعمل في الوقت الراهن لكن راودتني فكرة. بمجرد أن أبدأ عملي الخاص، ستنهال عليّ النساء.»

«حسنًا إذن، أليس من المناسب أن تهتم بهذا الأمر أولًا؟ ثم يمكنك أن تختار من بين كل النساء اللاتي سيلاحقنّك بعد ذلك.»

نظر شيراها إلى أسفل بارتباكٍ قبل أن يبدأ حديثه المعتاد عن العصر الحجري.

«على أية حال، لم يتغير أي شيء منذ العصر الحجري. الأمر أن لا أحد يدرك ذلك. استنتاجي النهائي هو أننا معشر البشر كنا وما زلنا وسنظل دائمًا حيوانات.» قال مغيرًا دفة الحديث 180 درجة. «لو سألتني، هذا المجتمع مجتمع مختلٌ ومَعيبٌ، لهذا أتعرض لهذه المعاملة الظالمة.»

فكّرت أنه قد يكون محقًّا بخصوص ذلك. لا يمكنني أن أتخيل حتى كيف سيبدو هذا المجتمع المثالي. لم أعد أعرف ما هو «المجتمع» حقًّا. ينتابني شعورٌ أنه مجرد وهم.

حدق شيراها نحوي وهو يقف في صمت ثم فجأة غطّى وجهه بيديه. ظننت أنه على وشك أن يعطس لكن سرعان ما لاحظت قطرات من الماء تنساب من بين أصابعه. أدركت أنه يبكي! سيكون الأمر فظيعًا إذا لمحنا زبونٌ من زبائن المتجر، فكرتُ.

«حسنًا، دعنا نذهب من هنا ونجلس في مكان أخر.»

قلت ذلك ثم أمسكتُ بذراعه وقدته إلى مطعم عائلي قريب.

***

«لا يسمح مجتمعنا بأي عناصر دخيلة عليه. لقد عانيت الأمرين دائمًا بسبب ذلك.» قال شيراها، وهو يشرب شايًا بالياسمين من بار المشروبات. الحقيقة أنا من أحضرته له بما أنه لا يرغب في التحرك كي يجلب أي شيء لنفسه. لقد جلس في صمت وحسب. عندما وضعت الفنجان أمامه، بدأ يشرب منه من دون أن يقول شكرًا حتى.

«على الجميع أن يتقبل الواقع وينصاع للأوامر دون شكوى. لماذا لا أزال أعمل في وظائف تافهة بدوام جزئي رغم أنني في منتصف الثلاثينيات؟ لماذا لم أمتلك حبيبة أبدًا؟ لا ترمش جفون هؤلاء الحمقى حين يسألونني إذا كنت قد مارست الجنس من قبل أم لا ثم ينفجروا في الضحك قبل أن يختموا سؤالهم بأن ممارسة الجنس مع العاهرات لا تُحتسب. لم أتسبب في أذى لأي أحد لكنهم لا يمانعون أن يغتصبوني معنويًا فقط لأنني أنتمي للأقلية.»

فكرت من قبل أن خطوة واحدة هي كل ما يفصل شيراها - بعد محاولات التحرش التي أقدم عليها - عن أن يكون معتديًا جنسيًا لكن ها هو يشبه معاناته الشخصية باعتداء جنسي بدون أن يخطر بباله كل الأذى

الذي سببه لعاملات المتجر وزبائنه من النساء. لديه هذه الطريقة الملتوية في عقله التي تسمح له برؤية نفسه كضحية فقط، وليس مقترفًا للجريمة أبدًا، هكذا فكرتُ بينما أشاهده وهو يتحدث.

«حقًا؟» قلتُ متسائلةً بداخلي إذا كان يتحسر على نفسه دائمًا. «لابد أن ذلك الإحساس مريعٌ.»

أجد المجتمع مزعجًا كما يراه هو، لكن لا أفهم لماذا يخبرني أنا بالذات بذلك. حسنًا، يمكنني أن أرى كم أن حياته قاسية، فكرتُ بينما أرتشفُ رشفات من فنجان الماء الدافئ. لم أضع كيس شاي لأنني لا أشعر بحاجة لشرب سائل بنكهة صناعية.

«لهذا أرغب بشدة في الزواج، وأن أستطيع العيش من دون أن يزعجني هؤلاء الحمقى طوال الوقت.» قال شيراها. «أحتاج إلى شخص يملك قدرًا من المال. لدي فكرة عن مشروع على الإنترنت. لا أريد أن يسرق أحد فكرتي لذا لن أدخل في التفاصيل لكن أبحث عن شخص يمكنه الاستثمار في مشروعي. فكرتي ستنجح بلا شك، وعندما يحدث ذلك لن يتمكن أي أحد من مضايقتي أبدًا.»

«إذن أنت تكره تدخل الناس في حياتك لكنك تختار عمدًا نمط حياة لا يمكنهم نقده؟»

رغم أنه يشكو من المجتمع إلا أن ما يقوله الآن يدل على أنه يسعى جاهدًا كي يتقبله هذا المجتمع. فكرتُ وقد تملكتني الدهشة من هذا التناقض.

«أنا يائس.» قال شيراها.

أومأت.

«أعتقد أنه من غير المنطقي أن تشعر بذلك. إذا كان الحل لمنع مضايقة

الناس لك هو أن تتزوج فقط، فذلك هو الشيء الأكثر سهولة.»

«لا تجعلي الأمر يبدو كأنه سهلٌ جدًا! حياتنا نحن الرجال أصعب من النساء. في البداية عليك أن تجد وظيفة، وإذا وجدتها فعليك أن تكسب مالًا أكثر، وحين تكسب مالًا أكثر، عليك أن تتزوج وتنجب؛ المجتمع لا يكف عن الحكم علينا باستمرار. لا تضعيني في السلة نفسها مع النساء. تحيا معظمكن حياة يسيرة» قال بتجهّم.

«إذن الزواج لن يحلَّ أي شيء، أليس كذلك؟ لا نفع منه؟» قلتُ.

لم يجبني شيراها، واستمر في الحديث بانفعال.

«لقد قرأت كتبَ التاريخ محاولًا أن أعرف متى حاد المجتمع عن الطريق الصحيح لكن مهما عدت بالزمن مائة سنة، مئتين، ألف سنة، أجد أنه كان خاطئًا دائمًا. حتى لوعدنا إلى زمن العصر الحجري.»

ضرب بقبضته على الطاولة فاهتز فنجان شاي الياسمين وانسكب بعضٌ منه على الطاولة.

«وهكذا أدركت أن المجتمع لم يتغير أبدًا. فهو يلفظ كل البشر الذين لا يتأقلمون مع القطيع: الرجال الذين لا يجيدون الصيد، والنساء اللاتي لا ينجبن الأطفال. رغم كل كلامنا الفارغ عن المجتمع الحديث والحرية الشخصية، أي أحد لا يحاول الاندماج في المجتمع، سيتدخل الآخرون في حياته ويجبرونه على الانصياع لتقاليد المجتمع ثم في النهاية سيطردونه خارج القطيع.»

«شيراها، أنت تحب الحديث عن العصر الحجري كثيرًا، أليس كذلك؟»

«لا، لا أحب ذلك. أكره ذلك! لكن ببساطة نحن نعيش في عالم يماثل تمامًا العصر الحجري مع غطاء زائف من المعاصرة. الرجل القوي الذي

يجلب صيدًا ثمينًا هو من يحظى بالنساء وهو من يتزوج أجمل فتيات القرية. أما الرجال الذين لا ينضمون للصيد والضعفاء جدًّا فهم عديمو الفائدة في نظر القطيع، منبوذون حتى لو حاولوا. هذا النظام لم يتغير حتى يومنا هذا.»

«أوه!» تمكنت من الخروج عن صمتي أخيرًا لكن لم أستطع أن أقول إنه خاطئ تمامًا. المجتمع يشبه كثيرًا متجر البقالة، حيث يتم 0020 استبدالنا – عمال المتجر – باستمرار بينما يظل المتجر مشهدًا ثابتًا لا يتغير.

هذا المكان لا يتغير حقًا، أليس كذلك؟ ترددَ صدى كلماتِ السيدة العجوز في المتجر داخلِ رأسي.

«فوروكورا، كيف تبدين غير مبالية بالأمر على الإطلاق؟ ألا تشعرين بالخجل من نفسك؟»

«ماذا؟! لماذا؟!»

«أنت لا تزالين تعملين في وظيفة تافهة بدوام جزئي لا مجال للترقية فيها في عمرك هذا! ولن يفكر أحد في الزواج من آنسة كبيرة في السن مثلك. أنت مثل بضاعة مستعملة. حتى لو كنت عذراء، فأنت عديمة القيمة. أنت مثل امرأة في العصر الحجري تخطّت سن الإنجاب ولم يعد أحد يفكر في زواجها فتُرِكَت لتهيم على وجهها في القرية، عديمة الفائدة لأيِّ أحد. مجرد عبء. أنا رجل لذا لا يزال بإمكاني الحصول على فرصة أخرى لكن أنت معدومة الأمل، أليس كذلك مسز فوكوروا؟»

حتى تلك اللحظة كان يشتكي من الناس الذين يدسّون أنوفهم في حياته الخاصة لكن هاهو يهاجمني بالأسلوب نفسه الذي جعله يتألم. كانت نظريته تنهار.

ربما يشعر الناس الذين يتعرضون للانتهاك بشيء من التحسن حين

يهاجمون الآخرين بالطريقة نفسها التي آلمتهم.

«ولقد أردت شرب القهوة!!» قال بوقاحة كما لو أنه قد لاحظ للتو أنه يشرب شاي بالياسمين. نهض وذهب إلى بار المشروبات كي يحضرَ بعض القهوة. وضع الفنجان أمامه على الطاولة عند عودته.

«القهوة رديئة في أماكن مثل هذه.»

«شيراها، إذا كان كل ما تريده هو زيجة مناسبة فلماذا لا تتزوجني أنا؟» فتحتُ باب الحديث بينما أضع كوب الماء الدافئ الثاني على الطاولة، وأجلس.

«ماذا؟!!!» انفجر شيراها.

«لو كنت تكره تدخل الناس في حياتك لهذه الدرجة ولا تريد أن تُطردَ من القطيع، فإنّ من الأفضل لك بكل تأكيد التعجيل بالزواج والانتهاء من الأمر.» تابعتُ بإلحاح. «لا أعرف الكثير عن الصيد - أقصد الحصول على وظيفة - لكن الزواج سيمنع الناس على الأقل من دسّ أنوفهم في حياتك العاطفية وتاريخك الجنسي، أليس كذلك؟»

«ماذا تقولين بحق الجحيم؟ هذا سخيف! أنا آسف لكن لن أتمكن من جعل عضوي ينتصب معك، فوروكورا.»

«ينتصب؟ أمم، ما علاقة ذلك بالزواج؟ الزواج مسألة ورقية أما الانتصاب فظاهرة فسيولوجية.»

لم يتفوه شيراها بأي كلمة لذا واصلت الشرح:

«ربما تكون محقًا بخصوص تشبيه المجتمع بالعصر الحجري. الإنسان الذي لا حاجة له يُضطهد ويُنبذ. في الحقيقة لا اختلاف بين المجتمع ومتجر البقالة أيضًا. الشخص الذي لا يحتاج المتجر لخدماته، يتقلص عدد مناوباته أو ربما يُطرد.»

«ماذا تقصدين؟»

«كي تحافظ على مكانك في متجر البقالة، يجب أن تصبح عامل متجر حقيقيًّا. بهذه البساطة. عليك أن ترتدي زيّك، وتطيع الأوامر المذكورة في الكتيب. وقبل أن تقول أيّ شيء، كان الأمر كذلك في العصر الحجري، من يرتدِ جلد الإنسان الذي يعتبره المجتمع «**طبيعيًّا**»، لن يُطرد من القرية ولن يُعامل كعبء.»

«لا أملك أي فكرة عما تهذين به.»

«بكلمات أخرى، عليك أن تتقمص دور هذا الكائن الزائف الذي يطلقون عليه «**شخص طبيعي**»، تمامًا كما يتقمص الجميع في متجر البقالة دور الكائن الزائف المدعو «**عامل المتجر**».»

«لكن هذا أمر مؤلم للغاية؛ لهذا أنا منزعج جدًا.»

«شيراها، حتى لحظات قليلة، كنت تنتقد المجتمع، أليس كذلك؟ لكن حين تتفاقم الأمور ويأتي وقت الأفعال، تقول إن الأمر صعب؟ حسنًا لأقل لك شيئًا: أعتقد أنّ أيَّ أحد يهب حياته لمقاومة المجتمع كي يكون إنسانًا حرًا، عليه أن يتقبل بصدق المعاناة التي تصاحب ذلك.»

حدّق شيراها في قهوته. بدا أنه لا يملك أيَّ شيء ليقوله.

«لكن لو كان الأمر بهذه الصعوبة، فلا حاجة كي أقاتل. فعلى خلافك، هنالك العديد من الأشياء التي لا أهتم بها حقًا. أنا لا أملك هدفًا محدّدًا خاصًا بي،

لذا إذا أرادت القرية أن أفعل الأمور بطريقة معينة، فلا مانع لدي أن أفعل ذلك.»

التخلص من أجزاء حياتي التي يجدها الآخرون غريبة، خطرت الفكرة ببالي فجأة. ربما هذا ما يعنيه الجميع عندما يقولون لي أنهم يريدون «علاجي».

سُئلت خلال الأسبوعين السابقين **أربع عشرة مرة** لماذا لم أتزوج، واثنتي عشرة مرة لماذا لا أزال أعمل بدوام جزئي؛ لذا من الآن فصاعدًا قررت ما الذي يجب على أن أمحوه من حياتي بناء على أكثر الأسئلة التي توجه إليّ. في أعماقي رغبت في تغيير من نوع ما، أي تغيير سواء كان جيدًا أم سيئًا سيكون أفضل من هذا الطريق المسدود الذي وجدت نفسي فيه الآن.

لم يجبني شيراها بعد على اقتراحي. اكتفى بالجلوس هناك وهو يحدّق بجدية في فنجان القهوة أمامه كما لو أن ثقبًا ما قد انفتح في سطحها الأسود.

***

في النهاية، نهضت وقلت: «سأرحل إذن.»

لكن في تلك اللحظة بدأ شيراها يتمتم بغرابة بعبارات مثل: «تعرفين، حين أفكر في الأمر...» مر الوقت وهو يتحدث بطريقة آلية رتيبة. بينما تخرج الكلمات من فمه بتردد، فهمت أنه يستأجر شقة لكن كان متأخرًا في دفع الإيجار، وكان على وشك أن يُطرد منها. في الماضي حين كانت تعصف به مشكلة، كان يعود إلى بيت والديه في هوكايدو ليقيم هنالك فترة، لكن منذ خمس سنوات، تزوج أخوه الصغير، وصار يعيش هو وزوجته وابنهما في البيت الآن، ولم يعد هنالك مكانٌ له. في السابق كان بإمكانه إقناع عائلته بمنحه بعض المال، لكن يبدو أن زوجة أخيه قد أوغرت صدورهم تجاهه ولم يعد من السهل عليه الحصول على المال منهم بعد الآن «منذ أن حشرت تلك العاهرة نفسها في كل شيء، لم تعد الأمور كما كانت. تجيد الكلام المعسول،

وتعيش على مال أخي ككائن طفيلي وتفرض سيطرتها على الجميع. يمكنها أن تذهب إلى الجحيم!»

واصل حديثه الذي لا يتوقف عن معاناته، منفِّسًا عن الغلّ المكبوت بداخله. بعد برهة توقفت عن الإنصات إليه، وبدأت أنظر نحو الساعة. كانت الساعة تدنو من الحادية عشرة مساء. لدي مناوبة في صباح الغد، وكنت أخاطر الآن بتقليص عدد ساعات النوم اللازمة كي يكون جسمي مستعدًّا للعمل.

«إذًا، شيراها، هل ستأتي إلى منزلي؟ يمكنك البقاء عندي طالما أنك ستدفع ثمن طعامك.»

لم يبد أنه يملك مكانًا آخر للذهاب إليه، وربما يطيل الحديث حتى يحلَّ الصباح إذا سمحت له بذلك.

بدأ يتمتم: «أمم....» و«حسنًا، لكن...»

لكن كان قد طفح بي الكيل فجررته معي إلى البيت. بمجرد أن أصبحنا سويًا في حيز شقتي المغلق، أدركت أن رائحة نتنة تفوح منه كما لو أنه مشرَّدٌ منذ مدة ليست بالقصيرة. أخبرته أن يستحمَ، ودفعته بنفسي إلى داخل الحمام. ناولته منشفة ثم أقفلت الباب. عندما سمعت صوت اندفاع المياه، تنفست الصعداء.

قضى وقتًا طويلًا في الحمام. كان النعاس قد تملكني وأنا أنتظر خروجه حين خطر ببالي فجأة أن أتصل بأختي.

«مرحبًا.» أتى صوت أختي. كانت الساعة تكادُ تبلغُ منتصف الليل لكن بدا أنها كانت لا تزال مستيقظة.

«آسفة على اتصالي في ذلك الوقت المتأخر. كيف حال يوتارو الصغير؟»

«لا مشكلة. أنه ينام بسرعة هذه الأيام. ما أخبارك؟»

مرت بذهني صورة وجه ابن أختي وهو نائم هناك في بيتها. تتقدم حياة أختي بسرعة. كائن حي لم يتواجد في هذا العالم من قبل يعيش معها الآن. هل تأمل أختي في أن ترى تغيّرًا ما في حياتي مثلما تأمل أمي؟ قررت أن أجرب، وأصارحها بالأمر بشكلٍ مباشرٍ.

«لا يوجد سبب محدد كي أهاتفك هكذا في منتصف الليل لكن... حسنًا الحقيقة يوجد رجل في منزلي الآن.»

«آه!!» بدا أن صوتها قد خرج من حنجرتها لا إراديًا كما لو كانت زغطة. كنت على وشك أن أسألها إذا كانت على ما يرام حين قاطعتني وهي تكاد تهتف في حيرة: «ماذا، حقًا؟ لا تمزحين! منذ متى؟! ماذا حدث؟ كيف يبدو؟»

أجبت مذهولة من انقضاضها المفاجئ عليّ بالأسئلة: «أوه، لم يمض على الأمر الكثير من الوقت. إنه شخص من العمل.»

«أوه، أرى ذلك. تهانيّ لك.»

«حقًا؟»

تفاجأت قليلًا من تهنئتها لي من دون أن تسأل حتى عن أي تفاصيل إضافية.

«لا أعرف كيف تسير العلاقة بينكما، لكن هذه أول مرة تحدثينني عن أمر كهذا لذا حسنًا. أنا سعيدة جدًّا من أجلك! أنا أدعمك تمامًا.»

«حقًا؟»

«وهل تعني حقيقة أنك تعلمينني بالأمر، أنك قد بدأت تفكرين حقًا في

الزواج؟ أوه، أنا آسفة، ربما أتسرع في استنتاجاتي هنا...»

لم تكن ثرثارة هكذا معي من قبل. أوحت نبرة الإثارة في صوتها إليّ أنه ليس من المبالغة القول إن المجتمع الحديث لا يزال عالقًا في العصر الحجري في نهاية المطاف. كتيب الحياة موجود حقًا. هو محفور بالفعل داخل رؤوس الجميع بحيث لم يعد هنالك حاجة لكتابته. الشكل المحدد لما يعتبره البشر «**إنسانًا طبيعيًا**» كان ولا يزال موجودًا دائمًا، ولم يتغير أبدًا منذ عصور ما قبل التاريخ، أدركت ذلك أخيرًا.

«كيكو، أنا سعيدة جدًّا من أجلك. لقد صارعتِ طويلًا لكن لم تستسلمي، وها قد وجدت أخيرًا شخصًا يفهمك....»

سيطرت عليها الحماسة، وتمادت في تخيلاتها مختلقة خيوط القصة كلها. ربما تتمادى أكثر وتعلن أنني قد» **شُفيتُ**». لو كان الأمر بتلك السهولة دائمًا، فكرتُ، كنت أتمنى لو وفرت عليّ الوقت، وأعطتني تعليمات واضحة من قبل. وقتها لم أكن لأعاني هكذا كي اكتشف كيف يمكنني أن أكون «**طبيعية**»

***

عندما أغلقت الخط، كان شيراها يقف أمامي مرتبكًا.

«أوه، لا تحمل معك أي ثياب أخرى، أليس كذلك؟ البس هذا. أنه زي المتجر القديم الخاص بي. منحوني الزي الجديد عندما غيروا التصميم. أنه يصلح للجنسين، لذا لا تقلق، سيناسبك.»

ترددَ شيراها للحظة ثم التقط القميصَ الأخضر، وارتداه على جسمِه العاري. كانت ذراعاه وساقاه طويلة جدًّا لذا بدا الزي أصغر عليه قليلًا لكن على الأقل كان بإمكانه إغلاق السَحّاب. كان يلفُ منشفةً حول الجزء

السفلي من جسمه لذا ناولته سروالًا قصيرًا كنت أرتديه في البيت أحيانًا. لا أدرى متى آخر مرة استحم فيها شيراها لكن كان السروال التحتي الذي خلعه في الحمام قذرًا جدًا. دسست ثيابه في الغسالة، وأخبرته أن يجلس حيث يشاء فجلس بتردد.

شقتي من الطراز القديم. تتكون من حجرة مفروشة ببساط التاتامي، وتفضي إلى مطبخ صغير، ومزودة بحمام منفصل به حوض للاستحمام ومرحاض. لا تعمل المروحة بشكل جيد لذا بعد خروج شيراها من الحمام، امتلأت الحجرة برطوبة وبخار خانقين.

«الجو حار قليلًا هنا. هل أفتح النافذة؟»

«أمم. حسنًا...»

كان شيراها متوترًا، وظل ينهض من على الكرسي ثم يعاود الجلوس من جديد.

«إذا أردت دخول الحمام، فهو هناك. لكن الماء لا يندفع جيدًا لذا تأكد من أن تضغط على السيفون حتى النهاية.»

«أوه، أنا على ما يرام.»

«إذًا، أنت في الوقت الراهن، لا تملك أي مكان كي تذهب إليه، أليس كذلك؟ لقد طُردت من شقتك.»

«أجل.»

«لقد كنت أفكر. تعرف، قد يكون مريحًا لي أن تتواجد هنا. لقد هاتفت أختي منذ قليل لأرى ردة فعلها، ولقد قفزت مباشرة إلى استنتاجاتها الخاصة وكانت سعيدة حقًا من أجلي. يبدو أن وجود رجل وامرأة وحدهما في شقة

يجعلُ الناس يشطحون بخيالاتهم ويشعرهم ذلك بالرضا بغض النظر عن حقيقة الواقع.»

«هاتفت أختك؟» علت الحيرة وجهَ شيراها.

«هل تريد علبة مشروب قهوة؟ هنالك ليمونادة أيضًا. أشتري فقط العلب المنبعجة من المتجر لكنها ليست باردة.»

«علب منبعجة؟»

«أوه، ألم يشرح لك أي أحد ذلك من قبل؟ عندما تحوي العلبة على أي انبعاج، تصبح غير صالحة ولا يمكن بيعها للزبائن لذا يمكننا نحن كعاملين في المتجر أن نشتريها. بالإضافة لذلك، لدي لبن وماء دافئ فقط.»

«أوه، سأتناول قهوة.»

قطعة الأثاث الوحيدة في الحجرة هي طاولة صغيرة قابلة للطي. لم أكن قد أزحت مرتبة الفوتون[1] من على الأرض لذا طويتها وسندتها على الثلاجة كي أوسع من مساحة الحجرة. لدي مرتبة أخرى في الخزانة تنام عليها أمي أو أختي حين تأتي أحداهما للنوم معي.

«لدي فوتون أخر، لذا يمكنك المكوث هنا في الوقت الحالي إذا لم تكن تملك أي مكان آخر. آسفة إذا كان البيت ضيقًا ومزدحمًا قليلًا.»

«المكوث؟» تململ بعصبية. «حسنًا، لكن... أنا مهتم بنظافتي الشخصية... لذا لو لم أكن مستعدًا جيدًا....» قال بصوت منخفض.

«لو كانت النظافة مشكلة بالنسبة إليك، فغالبًا لن تحب مرتبة الفوتون

---

(1) مرتبة أرضية تنتشر في البيوت اليابانية يسهل طيها ووضعها في الخزانة بعد الاستيقاظ فتوفر بذلك الكثير من مساحة الحجرة.

أيضًا. لم ينم عليها أحد منذ فترة ولم تتعرض للهواء. وهذه شقة قديمة، لذا فهي تعج بالصراصير!»

«أوه، حسنًا، هذا ليس... الشقة التي كنت أتشارك في إيجارها لم تكن قمة في النظافة وهذا لا يضايقني لكن. أعني أشعر كأنني مضطر أن أقبل بالأمر الواقع رغمًا عني أو شيء كهذا. انظري كرجل على أن أكون حذرًا طوال الوقت. مهاتفة أختك فجأة دون علمي هكذا، كان ذلك فعلًا انتهازيًا، ألا ترين؟»

«هل ارتكبت خطأ؟ أردت فقط أن أرى ردة فعلها.»

«أمم. أعني، المكوث هنا معك مرعبٌ قليلًا. قرأت عن تلك الأمور على الإنترنت لكن لم أتوقع أن تحدث معي في الحياة الواقعية أبدًا. أن أجبر على المكوث بهذه الطريقة أمر غير مريح بالنسبة إلي.»

«ماذا؟!! اعتقدت أنك لا تملك مكانًا أخرًا للذهاب إليه! لو كنت أسبب لك مشكلة فلتغادر إذن. لم أشغل الغسالة بعد لذا يمكنني أن أعطيك ثيابك.»

«أوه، لكن...» تمتم. «لو كنت تصرين...»

لم أستطع أن أفهم شيئًا مما يقول، وكان من الواضح أن المحادثة عقيمة.

«أمم.... أنا آسفه لكن الوقت قد تأخر.» قلتُ.» هل تمانع إذا نمتُ الآن. إذا أردت المغادرة تفضل، إذا أردت البقاء، أخرج مرتبة الفوتون وافردها بنفسك. افعل ما تريد. لدي عمل في الصباح الباكر في المتجر لذا على أن أحصل على القدر الكافي من النوم قبل أن أذهب إلى العمل.»

منذ ست عشرة سنة، تعلمت من المدير #2 أن راتبي بالكاد يغطي نفقاتي الأساسية في الحياة لذا عليَّ أن أكون لائقة بدنيًا للعمل، وأحافظ على سلامة

جسدي بقدر الإمكان.

«ياه! متجر البقالة.» قال شيراها باحتقار.

لو أعرته المزيد من الاهتمام فسوف تشرق الشمس ونحن نتجادل لذا مضيت وفردت مرتبتي.

«أنا متعبة.» قلتُ. «على الاستيقاظ مبكرًا والاستحمام في الصباح. ربما أحدثُ بعض الضجة لذا لا تهتم بذلك.»

غسلت أسناني، وضبطت المنبه قبل أن أستلقي على الفوتون وأغلق عينيّ. من حين إلى آخر أسمع صوت جلبة صادرة من مكان شيراها لكن شيئًا فشيئًا تسلل صوت متجر البقالة إلى أذني، وارتفع أكثر وأكثر داخل رأسي. قبل أن أدرك الأمر، غلبني النوم.

***

عندما استيقظتُ في صباح اليوم التالي، كان شيراها غارقًا في النوم وجسده ملتصق بالخزانة. لم يتحرك أبدًا حتى حين ذهبتُ إلى الحمام. غادرتُ البيت في الوقت المناسب لأصل إلى المتجر في الساعة الثامنة صباحًا كالمعتاد. قبل أن أغادر، تركت له ملحوظة: إذا خرجت، رجاء اترك المفتاح في صندوق البريد.

بدا لي بالأمس كما لو أنه قضى الليلة في الشقة مجبرًا فقط؛ لذا عندما عدت إلى البيت لم أكن أتوقع أن أجده هناك لكنه كان هناك. لم يكن يقوم بأي شيء. كان يجلس فقط مستندًا بساعديه على الطاولة القابلة للطي، ويشرب من علبة منبعجة من مشروب صودا العنب الأبيض.

«لا تزال هنا إذًا.»

قفزَ عند سماعه صوتي.

«أوه!»

«لم تتوقف أختي عن مراسلتي طوال اليوم. هذه أول مرة أراها متحمسة جدًّا لشيء يتعلق بي.»

«ليس مفاجئًا على الإطلاق. حتى أختكِ ستعتقد أنه أكثر احترامًا بالنسبة إليك كعذراء عانس متروكة على الرف أن تعيشي مع رجل على أن تواصلي العمل في متجر بقالة في مثل هذا السن الكبير.»

كان قد عاد إلى سجيته من دون أي أثر للانزعاج الذي أظهره ليلة أمس.

«أوه... إذًا أنت أيضًا لا تعتقد أنني جديرة بالاحترام؟»

«انظري، أي شخص لا يتماشى مع قوانين القرية، يفقد أي حق له في الخصوصية. سيسحقونك. عليك كأنثى أن تتزوجي وتنجبي وعليّ كذكر أن أخرج للصيد وأكسب المال ومن لا يستطع أن يخدم القرية بإحدى هذين الشكلين فهو مهرطق ومنشق عن قوانينها. وسيأتي أهل القرية كي يحشروا أنوفهم في حياته كما يشاؤون.»

«أوه!»

«عليك أن تستيقظي، فوروكورا. لأكن صريحًا معك، أنت في أحطّ مكانة ممكنة. ربما بات رحمك الآن عجوزًا جدًّا ولا فائدة ترجى منه. ولست جميلة حتى؛ كي تشبعي الرغبة الجنسية للذكور. وفي نفس الوقت لا تكسبين المال كالرجل، بل أنت بعيدة كل البعد عن ذلك. أنت تعملين في وظيفة بدوام جزئي وليتها كانت وظيفة معقولة، بل في متجر بقالة وضيع. بصدق! أنت مجرد عبء على القرية. أنت من حثالة المجتمع.»

«أرى ذلك. لكن أنا غير قادرة على العمل في أي مكان آخر سوى متجر

البقالة. لقد حاولت لكن اكتشفت أن قناع عاملة متجر البقالة هو الوحيد الذي يناسبني. لو لم يتقبل الناس ذلك، لا أدري ماذا يمكنني أن أفعل حيال هذا.»

«لهذ السبب هذا المجتمع المعاصر معيب. قد يتشدقون بعبارات منمقة عن الاختلاف في أساليب الحياة إلى آخره لكن في النهاية لم يتغير أيُّ شيء منذ عصور ما قبل التاريخ. مع النقص في معدل الإنجاب، تراجع المجتمع بسرعة رهيبة إلى العصر الحجري. لقد تجاوز الأمر حقيقة أن الحياة لم تعد مريحة. لقد وصل المجتمع إلى مرحلة أن الفرد الذي لا يخدم القرية، يجب التنديد به وعقابه لمجرد وجوده على قيد الحياة.»

لم يكن شيراها ينتقدني فقط، بل يعبر بصراحة عن سخطه تجاه المجتمع. لم أستطع أن أعرف أيهما كان غاضبًا منه أكثر. بدا أنه يلقي الكلماتِ بعشوائيةٍ تجاه كل ما يمر أمام ناظريه من دون تفكير.

«فوروكورا، لقد ظننت أن عرضك بالزواج مني جنونيًّا لكن في الحقيقة لا أراها فكرة سيئة. يمكنني أن أساعدك؛ إذا كنت سأبقى في شقتك، سينظر إليك الناس باحتقار لعيشك مع عاطل وعالة على المجتمع مثلي، لكن على الأقل سيكونون راضين عنك، ولن يستطيعوا حشر رؤوسهم في حياتك كما يفعلون الآن. بدون مهنة أو زوج، أنت عديمة القيمة بالنسبة إلى المجتمع ومصير الأشخاص مثلك الطرد من القرية.»

«أتفق معك.»

«أثناء عملي في المتجر، كنت أحاول اصطياد زوجة بكل تأكيد لكن لم أتخيل أبدًا أن تكوني شريكة حياتي المثالية، فوروكورا. أنت لا تكسبين الكثير من المال من العمل في متجر بقالة مما يعني أنني لن أستطيع بدء مشروعي الخاص كما أنني لن أستطيع أن أشبع حاجاتي الجنسية مع امرأة مثلك.»

تجرع شيراها آخر رشفة من علبة مشروب الصودا قبل أن يتابع:

«لكن مع ذلك، فإن مصالحنا تتلاقى فعلًا، لذا لا أمانع البقاء هنا.»

«آهة.»

تناولت علبة مشروب صودا بنكهة البطيخ بالشوكولاتة من الكيس الورقي الممتلئ بالعلب المنبعجة وناولتها إليه.

«أمم، إذن ماذا ستجني من هذا الموضوع، شيراها؟»

صمت لبرهة قبل أن يقول بصوت منخفض: «أريدكِ أن تخفيني.»

«ماذا؟»

«أريدك أن تخفيني عن المجتمع. لا أمانع أن تستغلي وجودي لخدمة غاياتك ويمكنك أن تختلقي كل ما تريدين عني، كل ما أريده أنا هو قضاء كل وقتي مختبئًا هنا. لقد نلت كفايتي من الغرباء الذين يدسّون أنوفهم في حياتي.»

ارتشف شيراها من علبة مشروب الصودا من دون أن ينظر إليّ قبل أن يستطرد:

«إذا خرجت من هنا، ستُنتهك حياتي من جديد. عندما يكون الإنسان رجلًا، فحياته كلها تتمحور حول «**اذهب للعمل**» و«**تزوج**». وبمجرد أن يتزوج تتحول غاية حياته إلى «**اكسب مالًا أكثر.**» و«**أنجب أطفالًا**». نحن عبيدٌ للقريةِ. يفرض المجتمع علينا أن نعمل طوال حياتنا. حتى خِصيتاي باتتا ملكية للقرية! مجرد عدم ممارستي الجنس تجعلهم يعاملوني كأنني أهدر سائلي المنوي.»

«يمكنني أن أرى كم أن ذلك موتِّرًا للأعصاب.»

«رَحِمُك ملكٌ للقرية أيضًا كما تعرفين. لا يهتم أهل القرية به الآن لأنه صار عديمَ الفائدة. أريد أن أقضي حياتي كلها من دون أن أفعل أيّ شيء حتى أموت. أريد أن أتنفس فقط من دون أن يتدخل أحد في حياتي. هذا كل ما أتمناه.»

أنهى حديثه وقد ضم كفيه معًا كما لو كان يتضرع.

كنت طوال هذا الوقت أفكر في المنفعة التي ستعود عليَّ من وجوده هنا معي. لقد بدأت أمي وأختي وحتى أنا نسأم من حقيقة أنني لا يمكنني الشفاء أبدًا. بدأت أشعر أن أي تغيير جيدًا كان أم سيئًا سيكون أفضل من وضعي الآن.

«ربما حياتي ليست قاسية مثل حياتك شيراها، لكن هنالك شيءٌ أكيد: لن يمكنني مواصلة العمل في المتجر إلى الأبد. كلما أتى مديرٌ جديدٌ، يسألني لماذا لم أمتهن سوى هذه الوظيفة حتى الآن؟ يرتابون دائمًا حتى أتمكن من اختلاق عذر ما يقنعهم. وكنت أبحث عن عذر جديد مؤخرًا كي أمنحه لهم. لا أعرف إذا كنت أنت هذا العذر أم لا.»

«طالما أنا هنا، سيرضى المجتمع عنك. بالنسبة لك، هذه صفقة رابحة.»

بدا واثقًا تمامًا من كلامه. إصراره هذا جعلني مرتابة رغم أنني صاحبة الاقتراح. لكن حين تذكرت ردة فعل أختي والتعبير على وجه ميهو والأخريات حين قلت لهن أنني لم أقع في الحب أبدًا، فكرت أنه لا ضرر من المحاولة.

«قلت إنها «صفقة» لكن لا ضرورة لدخول المال فيها. يكفيني أن توافقي على بقائي هنا وتوفري لي الطعام.»

«أهه. حسنًا أفترض أن لا معنى أن أطلب منك أن تدفع لي إذا كنت

عاطلًا لا تكسب أي مال. أنا بدوري فقيرة لذا لا يمكنني أن أعطيك أي مال، لكن لو لم تكن شرهًا، يمكنني أن أطعمك.»

«ماذا؟»

«أوه، آسفة. هذه أول مرة أحتفظ بحيوان في بيتي. وجودك يجعلني أشعر كأنني أقتني حيوانًا أليفًا.»

بدا شيراها منزعجًا من تعبيراتي لكن قال بتعجرف: «حسنًا أعتقد أننا اتفقنا إذًا.» ثم أضاف:» على ذكر الطعام، لم آكل أيَّ شيء منذ الصباح.»

«أوه، تمام. هنالك بعض بقايا الطعام في الثلاجة لذا اخدم نفسك بنفسك.»

أخرجت بعض الأطباق، وفردت الطاولة ثم وضعت بعض الأرز المطبوخ والخضار المسلوق المتبل بصوص الصويا في المنتصف.

عبس وجه شيراها. «ما هذا؟»

«فجل أبيض وفاصوليا وبطاطس وأرز.»

«هل تأكلين هذا الشيء دائمًا؟»

«هذا الشيء؟!»

«الطبخ ليس نقطة قوتك، أليس كذلك؟»

«كل ما أقوم به هو تسخين الطعام قبل أكله. لا أهتم كثيرًا بالمذاق، لكن إذا أردت أن أرفع من نسبة الملح في طعامي، أضيف صوص الصويا.»

شرحت الأمر بوضوح تام له لكن بدا عليه عدم الفهم. التقط حفنة من الطعام بشوكته ووضعها في فمه بتردد قبل أن يصيح: «أنه يشبه طعام الكلاب!»

بالتأكيد هو كذلك، فكرتُ. لهذا وضحت له الأمر. غرزت الشوكة في قطعة من الفجل ثم وضعتها في فمي.

***

شعرت أنني أستضيف محتالًا حين سمحت لشيراها بالعيش معي، لكن كشفت الأيام عن أن توقعاته كانت دقيقةً بشكلٍ مذهلٍ، كان وجوده معي أمرًا مفيدًا. لم يتطلب الأمر الكثير من الوقت كي أقتنع بذلك.

بعد ذكر الأمر لأختي، كانت المرة الثانية التي أذكر شيرها لأي أحد أثناء لقاء في بيت ميهو. كنا نجلس جميعًا نأكل الكعك عندما ذكرتُ عرضًا أنه يعيش معي. كانت صديقاتي جميعًا متحمسات بخصوص الأمر لدرجة جعلتني أتساءل إذا فقدوا عقولَهنّ.

«مهلًا، ماذا؟ منذ متى؟»

«كيف يبدو؟»

«واو! هذا أمر رائع! كنت قلقة عليك، كيكو. أنا مسرورة جدًّا من أجلك!»

«شكرًا.» قلت ببساطة، شاعرةً ببعض الغرابة من ابتهاجهن الشديد.

«هيا أخبرينا عنه. ما هي وظيفته؟»

«في الوقت الراهن لا يفعل أي شيء. لكنه أخبرني أنه يحلم ببدء مشروع خاص به، لكن يبدو أن هذا كله مجرد كلام في الهواء. لا يفعل أي شيء سوى التسكع في البيت.»

مال الجميع جميعًا للأمام، وعلت وجوهُهنّ الجدية فجأة.

«نعم! بعض الرجال هكذا. لكن هؤلاء يكونون أطيب وألطف وأكثر صدقًا، أليس كذلك؟ وقعت صديقة لي في حب رجل مثل ذلك رغم أنني لا يمكنني أن أقول ما هو الشيء المميز بخصوصه.»

«صديقة لي بعد انفصالها من علاقة تورطت مع رجل كان يعيش عالة عليها. لو كان يؤدي بعض الأعمال المنزلية لقلنا إنه يقوم بعمل ربة المنزل لكن لم يكن يفعل أي شيء على الإطلاق. سلوكه تغير تمامًا حين صارت حاملًا والآن يبدوان سعيدين حقًا.»

«نعم، بكل تأكيد! الحمل هو أفضل شيء يمكن فعله مع تلك النوعية من الرجال.»

بدا الجميع أسعد مقارنة بالمرة التي أخبرتهن فيها أنني لم أقع في الحبِ من قبل. استفضنَّ في الحديث كما لو أنهنَّ يعرفنّ كل شيء عن وضعي الراهن. كان يصعب أحيانًا قراءة أنا «**القديمة**» – التي لم تقع في الحب ولم تمارس الجنس ولم تمتلك وظيفة محترمة. لكن كان كل شيء عن أنا **الجديدة** – أنا التي يعيش شيراها معها – واضحًا كالشمس. ليس فقط حاضري، بل مستقبلي أيضًا. كان استماعي إلى صديقاتي وهن يتكلمن عني وعن شيراها يشبه استماعي إليهن وهن يتحدثن عن ثنائي من الغرباء. بدا أنهن يعرفن كل تفاصيل القصة. قصة عن شخصين يحملان اسمينا لكن لا شبه بينهما وبيننا أنا وشيراها على الإطلاق.

حين حاولت مقاطعتهنَّ، لم أستطع إيقاف سيل عباراتهن:

«انظري كيكو، خذي بنصيحتنا!»

«نعم، هذا صحيح. في النهاية أنت مبتدئة في مسألة الحب هذه، كيكو. لقد سمعنا الكثير عن هذه النوعية من الرجال لدرجة أننا مللنا من ذلك.»

«لقد واعدتِ شخصًا مشابهًا له عندما كنت صغيرة أيضًا، أليس كذلك ميهو؟»

كانت صديقاتي مستمتعات للغاية لدرجة أنني قررتُ ألا أقدم لهن أي معلومات إضافية أكثر مما يسألنني. كان الأمر كأن الجميع يقول لي إنني ولأول مرة صرت جزءًا من دائرتهم، من قطيعهم. انتابني شعورٌ أن صديقاتي يرحبن بي على ظهر سفينتهنَّ لأول مرة. أدركت بألمٍ حقيقة أنهن اعتبرنني دخيلةً حتى الآن بينما أستمع إليهن يواصلن الحديث عني وعن شيراها بإثارةٍ بالغةٍ. كنت بالكاد أومئُ إليهن مصطنعةً البهجة، وأتمتم من حينٍ إلى آخر: «أفهم ما تعنين.» بالنبرة نفسها التي كانت تستخدمها سوجاوارا دائمًا.

***

بعد أن «تبنيت» شيراها، باتت الأمور تسير بيسر أكبر في متجر البقالة. مع ذلك كلفني إطعامه الكثير من المال حقًا. كان يوما الجمعة والأحد يومي إجازتي دائمًا، لكن عندما فكرت بأن أطلب العمل مناوبات إضافية في هذه الأيام أيضًا لأغطي تكاليف المعيشة، شعرت أن طلبي هذا سيعزز الخطوة التي اتخذتها.

انتهيت من إفراغ حاويات القمامة خارج المتجر قبل أن أذهب إلى الحجرة الخلفية. كان المدير قد أنهى مناوبته الليلية، وكان يعد جدول مناوبات الأسبوع القادم لذا ذكرت الأمر له عرضًا.

«أمم، هل أنهيت تجهيز جدول مناوبات يومي الجمعة والأحد؟ أحاول أن أدخر قدرًا من المال لذا يسعدني أن أعمل مناوبات إضافية.»

«يا لك من فتاة رائعة، آنسة فوروكورا! مفعمة بالنشاط والحماسة. لكن

سأخالف القانون إذا جعلتك تعملين طوال الأسبوع من دون يوم عطلة كما تعرفين. لماذا لا تحاولين العمل في وظيفة أخرى إضافية؟ كل المتاجر تعاني من نقصٍ في العمالة لذا أنا متأكد أنهم سيسعدون إذا قدمت لهم خدماتك.»

«شكرًا، سيساعدني ذلك كثيرًا.»

«اهتمي بصحتك كي لا تمرضي، تمام؟» ثم أضاف: «أوه، هنا، استمارة راتبك لهذا الشهر.» قال وهو يمرر إليّ بيان مرتبي. كنت أقوم بوضع الاستمارة في حقيبتي حين سمعته يتنهد قبل أن يقول بنفور:

«آه، على أن أوصل استمارة راتب شيراها على الفترة التي قضاها هنا إليه. كما أنه لم يأت لأخذ متعلقاته الشخصية حتى الآن.»

«ماذا؟! لا يمكنك أن تتصل به؟»

«هاتفه يرن لكنه لا يرد، هو حالة ميؤوس منها حقًا. لقد أخبرته ألا يجلب معه أي متعلقات شخصية إلى العمل لكنه فعل، والآن لا تزال الكثير من حاجياته في الخزانة.»

«هل يمكنني أخذها بالنيابة عنه؟»

كان هنالك شاب جديد سيبدأ العمل في المناوبة الليلية لذا فكرت أن الخزانة الممتلئة قد تسببُ مشكلةً. انزلقَتْ الكلمات من بين شفتيّ قبل أنْ أدركَ الأمر.

«ماذا؟ تعنين أخذها إلى شيراها بنفسك؟» سألني باستغراب. «ماذا يعني هذا كله، آنسة فوروكورا؟ هل تتواصلين معه؟»

يا لغبائي!! فكرت قبل أن أومئ برأسي.

لا يهمني إذا تحدثت عني مع أناس لا يعرفونني لكن لا أريدك أن تدعِي

أي أحد في متجر البقالة يعرف أنني هنا. هذا ما قاله لي شيراها. أريدك أن تخفي حقيقة وجودي عن جميع من يعرفونني. لم أتسبب في أي مشكلة لأحد، لكنهم لا يكفون عن دس أنوفهم في حياتي. أريد أن أعيش وأتنفس بهدوء دون تطفل من أحد.

تذكرتُ كلمات شيراها عندما علا صوت حفيف الباب الآلي للمتجر من خلال شاشة المراقبة. نظرت إلى الشاشة لأرى مجموعة من الزبائن يدخلون. في لحظة صار المتجر مزدحمًا. كان توان، العامل الجديد الذي بدأ العمل الأسبوع الماضي فقط، يقف بمفرده عند ماكينة النقود لذا فكرت أن من الأفضل أن أذهب لمساعدته في الحال.

«هاي، أنتِ، ليس بهذه السرعة. لا يمكنك الهروب بتلك السهولة!» صاح المدير مذهولًا.

أشرت إلى الشاشة. «يحتاج إلى المساعدة عند منضدة الحساب،» قلت له وأسرعت إلى داخل المتجر.

كان هنالك ثلاثة زبائن ينتظرون عندما وصلت إلى هناك. بدا توان عصبيًا بينما يعمل على ماكينة النقود.

«أمم، ماذا أفعل بهذا؟»

يبدو أنه لا يعرف ماذا يفعل بإيصال منحه له إحدى الزبائن. تعاملت مع الأمر بسرعة، وقلت له:

«هذا إيصال بمرتجع. ضعه في الخزينة وأعط الزبون الباقي، تمام؟»

ثم اندفعت نحو ماكينة النقود الأخرى.

«آسفة لاضطراركم الانتظار! فليتقدم الزبون التالي رجاءً.»

تقدم رجل يبدو عليه الاستياء بسبب الانتظار الطويل نحوي، وهو يقول بتذمر: «هل ذلك الشاب جديد؟ أنا مستعجل.»

«أنا آسفة جدًا!» قلت قبل أن أحني رأسي اعتذارًا.

لم يتعود توان على استخدام ماكينة النقود بعد، وكان على مسز إيزومي أن تبقي عينيها عليه. طفت ببصري في المكان فوجدتها تضع صناديق المشروبات على الرفوف، غير مدركة أن هنالك الكثير جدًا من الزبائن ينتظرون كي يدفعوا الحسابَ.

حين هدأت الأمور عند منضدة الحساب، لاحظت أن أسياخ الدجاج المقلية، الأكلة التي يفترض أن عليها عرضًا خاصًا اليوم لم تُطه بعد لذا هرولت كي أجلب بعضًا منها من ثلاجة الحجرة الخلفية. كان المدير ومسز إيزومي في الحجرة الخلفية يتحدثون عن شيء ما، ويبدو عليهما أمارات الدهشة.

«نهدف لبيع مائة قطعة من أسياخ الدجاج، أليس كذلك؟ لكنها غير جاهزة من أجل وقت ذروة الغداء ولم نعلق الإعلان الترويجي بعد.» أخبرتهما.

كنت أتوقع منهما أن يردا: «أوه، لا، هذه مشكلة!» لكن كل ما فعلته مسز إيزومي هو الالتفات إليّ قبل أن تقول: «مرحبًا، مسز فوروكورا، ما هذا الذي أسمعه عنك وعن شيراها؟ هل هو حقيقي؟»

«ماذا؟ لكن مسز إيزومي، الأسياخ....»

«لحظة واحدة فقط، متى بدأت العلاقة بينكما؟ لكن الحقيقة أنكما متوافقان جدًا! هيا، أخبرينا. من منكما قام بالخطوة الأولى؟ هل كان شيراها؟»

«أوه، هي مرتبكة جدًا كي تبوح بأي شيء إلينا. علينا أن نصحبها معنا

للشرب في وقت قريب. تأكدي من إحضار شيراها أيضًا، فوروكورا!!»

«لكن، أسياخ الدجاج!!»

«توقفي عن تجاهل الموضوع! هيا، أخبرينا!!»

صرخت فيهما منزعجةً: «انظرا، لا شيء بيننا! هو يقيم في بيتي فقط، هذا كل شيء. الشيء المهم الآن هو أننا لم نبدأ في إعداد أسياخ الدجاج بعد!!»

«ماذا؟!!» صرخَتْ مسز إيزومي. «تعنين أنكما **تعيشان معًا**؟»

«حقًا؟!» أضاف المدير.

كانا متحمسين جدًّا لذا قررت أن لا فائدة من قول أي شيء أخر. اندفعت إلى الثلاجة، وأخرجت صناديق أسياخ الدجاج وهرولت وأنا أحملها نحو منضدة الحساب. تفاجأت من ردة فعلهما. كعاملة متجر بقالة، لم أستطع تصديق أنهما يوليان شائعات عن عمال المتجر اهتمامًا أكبر من العرض الخاص الذي ستُباع فيه أسياخ الدجاج التي تساوي 130 ين بسعر خاص هو 110 ين. ماذا حدث لهما بحق السماء؟!

لابد أن توان قد لاحظ اضطرابي حين أسرعت نحوه حاملة الصناديق لأنه أتى مسرعًا ليقدم يد المساعدة.

«واو، هذا كثير! هل ستعدّين كل هذا؟» سألني بلغته اليابانية الركيكة.

«هذا صحيح. من أجل عرض اليوم. نهدف إلى بيع مائة قطعة اليوم. في آخر مرة تمكنّا من بيع إحدى وتسعين قطعة لذا يمكننا الوصول إلى هدفنا! أعدت لنا ساواجوشي من المناوبة الليلية إعلانًا ترويجيًّا كبيرًا لنستخدمه اليوم للدعاية لهذا العرض. لو عمل كل عمال المتجر معًا، يمكننا بيع العدد المطلوب. هذا أهم شيء بالنسبة إلينا جميعًا في اللحظة الراهنة.» قلتُ وأنا

أشعر بغصة في حلقي لسبب لا أعرفه.

«ماذا؟» سألني وهو يميل برأسه جانبًا، غير قادر على متابعة لغتي اليابانية السريعة الإيقاع.

«انظر، علينا أن نعمل سويًا لإتمام هذه المهمة بنجاح! توان رجاءً، لنعدَّ كل هذه الأسياخ الآن!»

«كلها؟! أوه واو!» قال وهو يومئ برأسه قبل أن يبدأ بارتباك في مساعدتي في إعداد أسياخ الدجاج.

هرولتُ إلى رفوف عرض الطعام السريع وبدأت في لصق الإعلان الترويجي الذي قضت ساواجوشي ساعتين على الأقل لتجهيزه. كان مصنوعًا من الكرتون وورق رسم ملون.

عرض اليوم الخاص! أسياخ الدجاج المقلية الشهية بـ 110 ين! العرض سارٍ ليوم واحد.

صعدت على سلم وثبت الإعلان على حافة الرف العلوي في مكان بارز. قالت ساواجوشي بينما تعد الإعلان أنه مع وجوده لمساعدتنا، فسوف نتمكن بكل تأكيد من بيع مائة قطعة من أسياخ الدجاج. نعمل كعمال متجر يدًا واحدة لتحقيق هدفنا المشترك، لذا بحق السماء ماذا كان المدير ومسز إيزومي يفعلان الآن؟!!

«مرحبًا!» هتفتُ عندما دخل زبون إلى المتجر.» نقدم عرضًا خاصًا اليوم على أسياخ الدجاج المقلية بمائة وعشرة ين فقط!»

كان توان يرصُّ الأسياخ التي انتهينا من طهوها، حين هتف متزامنًا مع هتافي: «أسياخ دجاج مقلية!!»

لم يخرج المدير ومسز إيزومي من الحجرة الخلفية بعد. يمكنني سماع الصوت المكتوم لضحكة مسز إيزومي.

«أنها رخيصة! أسياخ الدجاج المقلية! جرب واحدة!»

قد لا يكون توان معتادًا على العمل بعد لكن كان هو الوحيد الذي تحمل المسئولية وانضم إليّ في محاولة إغراء الزبائن لشراء عرض اليوم الخاص.

***

في طريق عودتي إلى البيت، مررت على سوبر ماركت الحي الذي أسكن فيه، وابتعت بعض الفاصوليا ودجاجة وملفوفًا لكن حين وصلت لم أجد شيراها هناك. بدأت في تجهيز الطعام كي أغليه بينما أفكر أنه ربما قرر المغادرة عندما سمعت ضجيجًا قادمًا من الحمام.

«أوه، هل هذا أنت، شيراها؟»

فتحت باب الحمام لأجده يجلس في حوض الاستحمام الجاف مرتديًا ثيابه كاملةٍ ويشاهد فيلمًا على جهازه اللوحي (التابلت).

«لماذا تجلس هنا؟»

«جربت الدولاب أولًا، لكن البعوض في كل مكان هناك، كما تعرفين. لا يوجد أي بعوض هنا لذا يمكنني الاسترخاء.» أجاب. «هل سنأكل خضارًا مسلوقًا اليوم أيضًا؟»

«نعم، هذا صحيح. أسلق اليوم فاصوليا ودجاجًا وملفوفًا.»

«أوه، تمام.» قال من دون أن يرفعَ عينيه عن الجهاز. «لقد عدتِ إلى البيت متأخرة اليوم، أليس كذلك؟ أنا جائع جدًا.»

«لقد كنت على وشك مغادرة المتجر عندما بدأ المدير ومسز إيزومي الحديث معي، ولم يدعاني أغادر. لقد قضى المدير اليوم كله في المتجر رغم أنه يوم إجازته، وراح يلح على بإصرار كي أصطحبك معي في إحدى الأمسيات من أجل الشرب.»

«ماذا؟! أخبرتهما عني؟!!»

«آسفة. زلة لسان. تفضل، لقد جلبت لك معلقاتك واستمارة آخر راتب.»

«ماذا؟!» انقبضت يد شيراها المحيطة بالجهاز من دون أن يتفوه بأي كلمة لفترة قبل أن ينفجر:

«أخبرتهم عني.... رغم أنني أخبرتك ألا تفعلي!»

«أنا آسفة. لم أقصد أن أتسبب لك في أي أذى.»

«لقد فعلت وانتهى الأمر، فوروكورا.»

«ماذا؟» قلت وقد اعترتني الحيرة.

«سيبذل هؤلاء اللقطاء قصارى جهدهم لجرّي إلى الخارج كي يلقوا عليَّ محاضرتهم السخيفة. لكني لن ألتقط طعمهم وأخرج. هيهات. سأظل مختبئًا هنا. وهذا يعني أنك التالية في قائمتهم للأشخاص الذين يحتاجون للمحاضرة والتقويم، فوروكورا.»

«أنا؟!!»

«لماذا تسمحين لرجل عاطل أن يعيش في شقتك؟! من المقبول أن يعمل الزوج والزوجة لكن ليس في وظيفة بدوام جزئي! ألن تتزوجي به؟ ماذا عن إنجاب الأطفال؟ احصلي على وظيفة محترمة! أدِّ واجبك نحو المجتمع

كامرأة بالغة! سيطبقون على أنفاسك الآن، كما تعرفين.»

«لم يتحدث معي أي أحد في المتجر بتلك الطريقة من قبل.»

«هذا لأنك كائن غريب بالنسبة إليهم. عاملة متجر بقالة عزباء في السادسة والثلاثين من عمرها عذراء غالبًا، تعمل دون ملل أو كلل كل يوم، مفعمة بالنشاط والطاقة لكن لا تظهر أي رغبة في البحث عن وظيفة محترمة. أنت عنصر دخيل. لم يهتم أحد بإخبارك بذلك لأنهم يجدونك شاذة جدًّا عنهم. كانوا يقولون ذلك من وراء ظهركِ قطعًا. والآن سيبدؤون في قول ذلك في وجهك أيضًا.»

«ماذا؟»

«يستمتع الناس الذين يصنفهم المجتمع على أنهم طبيعيون بوضع الآخرين الذين ليسوا كذلك تحت مقصلة المراقبة والنقد كما تعرفين. لو طردتني الآن، سينتقدونك بقسوة أكبر، أنت واقعة بين المطرقة والسندان، لا تمتلكِين أي خيار سوى أن تبقيني هنا.» قال وهو يرسمُ على وجهه ابتسامة رفيعة. «رغبت دائمًا في الانتقام من السيدات التي يسمحُ المجتمع لهن بأن يكنّ طفيليات فقط لأنهن نساء. كنت دائمًا ما أقول لنفسي أنني سأكون طفيليًّا يومًا ما. سأكون طفيليًا عليك، فوروكورا مهما تتطلب الأمر مني.»

لم أفهم أي شيء مما كان يتحدث عنه.

«حسنًا على أية حال، ماذا عن طعامك؟ لقد وضعته على النار كي يغلي ومن المفترض أنه قد صار جاهزًا الآن.»

«سآكله هنا. أحضريه إليّ من فضلك.»

فعلت كما قال، وضعت الخضار المغلي والأرز الأبيض في طبق وحملته إلى الحمام. «أغلقِي الباب وراءك لو سمحتِ.»

فعلت كما قال وأغلقت الباب، جلست لوحدي على الطاولة لأول مرة منذ فترة، وبدأت أتناول طعامي. بدا صوت مضغي للطعام عاليًا بشكل غير طبيعي. ربما لأنني كنت محاطة بأصوات متجر البقالة طوال النهار. عندما أغلقت عينيّ وتخيلت المتجر، سمعت أصواته في رأسي من جديد. سرى ذلك الصوت في جسدي مثل الموسيقى. تمايلت مع الموسيقى المحفورة بعمق داخلي - صوت المتجر وهو يعمل، بينما أحشو الطعام داخل جسمي كي أكون لائقة جسديًا للعمل من جديد يوم الغد.

***

أخبار إقامة شيراها عندي انتشرت في المتجر كالنار في الهشيم.

في كل مرة أرى فيها المدير، كان يبدأ في مشاكستي قائلًا: «كيف حال شيراها؟ متى ستجلبينه معك للشرب معنا؟» كنت أكنُّ دائمًا الكثير من الاحترام للمدير #8. هو إنسان مجدٌ في عملِه وكنت أعتقُد أنه زميلُ العملِ المثالي لكن الآن مللتُ إلى درجة الموت من حديثه المتواصل عن شيراها كلما التقينا.

حتى الآن، كنا نجري دائمًا مناقشات مثمرة بين عاملة ومديرها. «الجو حار مؤخرًا لذا ستنخفض مبيعات حلوى الشوكولاتة.» أو «هنالك عمارة جديدة بالقرب من هنا لذا علينا أن نتوقع المزيد من الزبائن في المساء.» أو «الإدارة تقف بقوةٍ خلف الحملة الدعائية لذلك المنتج الجديد الذي سيطرح في الأسواق في الأسبوع بعد القادم لذا يجب أن نبلي بلاء حسنًا في تسويقه.»

لكن الآن أشعر وكأنه قد حطّ من منزلتي كعاملة متجر بقالة إلى مجرد أنثى تنتمي إلى فصيلة البشر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«مسز فوروكورا، لو أن لديك أيّ شيء شخصي يُقلقكِ، لا أمانع من الاستماع إليه!» صار يقول لي، «ويجب بكل تأكيد أن تأتي للشرب معنا في المرة القادمة، حتى لو أتيت بمفردك. لكن من الأفضل أن يأتي شيراها أيضًا. سأحاول أن أتحدث معه، وأعيده لصوابِه!»

حتى سوجاوارا التي كانت تكره شيراها دائمًا، تدخلت في الحوارِ قائلةً: «أريد أن أراه أيضًا! أحضريه معك!»

لم أعرف ذلك من قبل، لكن يبدو أنهم كانوا يلتقون جميعًا من حين إلى آخر من دون إخباري. حتى مسز إيزومي كانت ترافقهم أحيانًا حين يكون بإمكان زوجها الاعتناء بالأطفال.

أضافت سوجاوارا: «تعرفين، أردت دائمًا الخروج معك أيضًا مسز فوروكورا!»

إذن هم جميعًا يخططون لإجبار شيراها على الخروج معهم في إحدى الليالي كي يلقنوه درسًا كلاميًا، بدأت أفهم سبب رغبته في الاختباء إذا كان هذا ما عليه مواجهته عند الخروج.

أخرج المدير السيرة الذاتية لشيراها التي كان من المفترض التخلص منها عندما ترك العمل في المتجر، وبدأ هو ومسز إيزومي في التدقيق فيها.

«انظري هنا! لقد ترك الجامعة والتحق بمعهد مهني، لكنه رسب فيه أيضًا.»

«إذًا المؤهل الوحيد الذي يمتلكه هو اختبار إجادة الإنجليزية؟ أوه، لا يمتلك رخصة قيادة حتى!»

كانوا جميعًا يتلذذون بالتقليل من شأنه. من الواضح أنهم يعتبرون النبش في حياة شيراها أكثر أهمية من الدعاية الحالية لكرات الأرز المعروضة للبيع

بمائة ين ومن الهوت دوج بالجبن الذي وصل إلى المتجر منذ قليل. كان الأمر كما لو أن ثمة ضوضاءً تختلطُ بصوتِ المتجر المألوف مولدةً تنافرًا بشعًا – كما لو أن الجميع كان يعزف اللحن نفسه ثم فجأة بدأ يعزف كل واحد عزفًا منفردًا بعيدًا عن اللحن الأصلي.

كان العامل الجديد توان أكثرهم إثارة للرعب. كان توان يمتص بسرعة طباع المتجر، وبدأ يشبه عمال المتجر الآخرين ويقلدهم. لم يكن ذلك ليشكل مشكلة في النسخة السابقة من المتجر، لكن الآن والجميع في حالتهم الحالية غريبة الأطوار، بدأ يتحول إلى كائنٍ لا يشبه على الإطلاق عاملَ متجر البقالة. كان عاملًا مجدًّا في البداية لكن الآن بات يتوقف عن طهو الهوت دوج ويسألني: «زوجك كان يعمل هنا سابقًا، مسز فوروكورا؟» قال مشيرًا لتلميحٍ تشدقت به مسز إيزومي.

«هو ليس زوجي!!» أجبتُ بسرعة.» والأهم أن الجو حارٌ اليوم لذا سنبيع الكثير من المشروبات الباردة. رجاء تأكد من إعادة ملء الثلاجة في الممر بزجاجات المياه المعدنية الموجودة في صندوق الكرتون في المخزن. ستبيع صناديق الشاي الأخضر جيدًا أيضًا لذا ضع عينيك على تلك الرفوف، تمام؟»

«ترغبين في إنجاب طفل، مسز فوروكورا؟ أختي متزوجة ولديها ثلاثة أطفال. لا يزالون صغارًا ولطيفين جدًا.»

كان توان ينسلخ بسرعة عن كونه عامل متجر بقالة. الأمر ينطبق على الجميع. رغم أنهم لا يزالون يرتدون الزي نفسه ويؤدون العمل ذاته، انتابني شعورٌ بأنهم لم يعودوا عمال متجر كما كانوا من قبل. الزبائن وحدهم من ظلوا كما كانوا من دون أن يطرأ عليهم أي تغيير، واستمروا في حاجتهم إلى خدماتي كعاملة متجر مثالية. لقد اعتقدت أنّ بقية عمال المتجر مصنوعون

من نفس معدني لكن في الجو الغريب المخيم حاليًا، بدأت عقلية القرية تسود المتجر، وتحول الجميع لمجرد ذكور وإناث عاديين. فقط الزبائن من يسمحون لي الآن بأن أكون عاملة متجر بقالة فحسب.

***

في يوم أحد بعد مرور شهر على مكالمتي لها، أتت أختي لتلقي محاضرةً على شيراها. أختي إنسانٌ لطيفٌ ورقيقٌ في العموم لكنها كانت متوترة جدًّا حين طلبت مني السماح إليها بالدخول.

«يجب أن أقول شيئًا من أجل مصلحتك، كيكو.» قالت.

أخبرت شيراها أن بإمكانه الانتظار خارج الشقة إذا كان يريد لكنه قال بصوت لا يكاد يسمع: «لا بأس. لا أمانع.»

من الواضح أنه قد قرر البقاء في الشقة، وسماع ما ستقوله أختي. كان ذلك مفاجئًا بالنظر لكرهه الاستماع إلى عبارات النقد والتوبيخ.

«زوجي يعتني بيوتارو. وهو شيء يجب أن يفعله من حين إلى آخر كأب.» قالت بينما تعبر الباب.

«أرى ذلك. المكان مزدحم قليلًا هنا لكن تصرفي وكأنك في بيتك.»

كانت أول مرة أراها من دون ابنها منذ فترة طويلة. بدت لي وكأنها تفتقد شيئًا ما.

«لم يكن عليك القدوم كل هذه المسافة إلى هنا. لو كنت هاتفتني، لكنت قد أتيت إلى شقتك كالعادة.»

«لا بأس. اليوم أردت أن أقتطع جزءًا من وقتي من أجل القدوم،

والحديث معك. وجودي لا يضايقك، أليس كذلك؟» سألتني وهي تطوف ببصرها في أرجاء الحجرة. «أوه، لكن ماذا عن الرجل الذي يعيش معك؟ هل هو في الخارج اليوم؟ أتمنى ألا أكون قد أخفته.»

«ماذا؟ لا! هو هنا.»

«أوه! لكن أين هو؟ يجب أن ألقي عليه التحية!» قالت وهي تنهض من مجلسها.

«لا تقلقي بخصوص هذا. لا حاجة حقًا لأن تفعلي ذلك. أوه، لكنه وقت الطعام على أية حال.»

غرفت بعضًا من البطاطس والملفوف المسلوق من الحلة، ووضعتها مع بعض الأرز في طبق، وأخذته إلى الحمام. كان شيراها يجلس على مرتبة كان قد حشرها داخل حوض الاستحمام بينما يعبث في هاتفه الذكي. ناولته الطبق.

«الحمّام؟ هل هو في حوض الاستحمام؟»

«نعم. المكان يكون مزدحمًا جدًّا عندما نتواجد سويًّا في الحجرة لذا أبقيه هناك.»

بدا على أختي الاستغراب فشرحت لها أكثر. «أعني، هذه الشقة قديمة جدًا، أليس كذلك؟ يقول شيراها إن الاستحمام في حمّام عمومي أفضل من العيش في هذا الحمام العتيق. يمنحني قليلًا من المال كي أتمكن من تغطية تكاليف استحمامي خارج الشقة وتكاليف إطعامه. هنالك بعض المشاكل لكن تواجده هنا مريحٌ بالنسبة لي. الجميع سعيدون حقًا من أجلي. الجميع من دون استثناء يباركون لي. أقنع الجميع أنفسهم أن وضعي الجديد ممتازٌ، وتوقفوا عن دس أنوفهم في شؤوني الخاصة. لذا شيراها مفيد بالنسبة إلي.»

نظرت أختي نحو الأرض. ربما فهمت الأمر أخيرًا بعد أن شرحته لها بدقة.

«أوه، لقد جلبت بعضًا من حلوى الكاسترد التي تجاوزت تاريخ بيعها من المتجر. تريدين واحدة؟»

«لم أتوقع أن الأمر هكذا أبدًا.» قالت بصوت مرتعش.

نظرت إليها متفاجئة من ردة فعلها. بدا أنها تبكي!

«ما المشكلة؟ أوه، سأحضر بعض المناديل.» قلتُ بسرعة مستخدمة أسلوب سوجاوارا في الكلام ثم نهضتُ.

«ألن تُشفَين أبدًا كيكو...؟» قالت وهي تنظر إلى أسفل غير مهتمة بمجادلتي حتى. «لا يمكنني احتمال الأمر بعد الآن. كيف يمكننا أن نجعلك طبيعية؟ إلى متى سأكون مضطرة أن أتحمل هذا الوضع؟»

«ماذا؟ كل هذا الوقت كنت تتحملينني؟! لو أن الأمر هكذا، لم يكن عليك بكل تأكيد تكبد كل هذه المشقة للقدوم إلى هنا.» أخبرتها بصراحة.

وقفت، والدموع تنساب على وجهها.

«كيكو، هلا أتيت معي لرؤية معالج؟ رجاءً؟ دعينا نبحث عن المساعدة. هذه هي الطريقة الوحيدة.»

«لقد ذهبت إلى واحد وأنا صغيرة لكن لم يعد عليّ هذا بأي نفع، أليس كذلك؟ ولا أعرف حتى ما هو الشيء الذي أحتاج للشفاء منه.»

«منذ بدئك العمل في متجر البقالة، وأنت تزدادين غرابة يومًا بعد يوم. أسلوب كلامك، والطريقة التي تصرخين بها أثناء الحديث كما لو أنك لا تزالين في المتجر وحتى تعابير وجهك باتت غريبة. أتوسل إليكِ. رجاء

حاولي أن تكوني طبيعية!» انخرطت في بكاء شديد.

«إذًا هل سأشفى إذا تركت العمل في متجر البقالة؟ أم من الأفضل أن أبقى هناك؟ هل يجب أن أطرد شيراها من البيت؟ أم من الأفضل أن أبقيه هنا؟ انظري، سأفعل الذي ستقولينه حرفيًا. لن يختلف الأمر كثيرًا لذا رجاء وجهيني بتعليمات محددة، وسأنفذ فورًا.»

«لم أعد أعرف بعد الآن....»

ظلت تبكي بغزارةٍ من دون أن ترد على سؤالي. لم أعرف ما على فعله، لذا أخذت طبق من حلوى الكاسترد من الثلاجة وأكلته بينما أشاهدها تجلس هناك تنتحب. فجأة سمعت صوت باب الحمام يُفتح. التفتُّ مذهولة. رأيت شيراها يقف هناك.

«أنا آسف جدًا. لأقل الحقيقة لك، لقد تشاجرت مع أختك، وجعلت من نفسي أضحوكة، أليس كذلك؟ لابد أنك متفاجئة حقًا.»

حدقتُ نحوه بفم مفتوح. لم يكن من عادة شيراها أن يكون متحدثًا لبقًا هكذا.

«الحقيقة هي أنني تواصلت مع حبيبتي السابقة عبر الفيس بوك وخرجت للشرب معها من دون علم كيكو. ثارت كيكو عندما علمت بالأمر. رفضت السماح لي بالنوم معها، وحبستني في الحمام.»

حدّقت أختي نحوه لبرهة كما لو أنها تحاول استيعاب معنى ما قاله للتو. ثم تمسكت بذراعيه، ونهضت. كان وجهها صورة لمؤمنٍ صادف كاهنًا في كنيسةٍ.

«إذًا ذلك ما حدث... أرى ذلك، إذًا هذا هو الأمر.» قالت كأنها تحاول إقناع نفسها بالأمر.

«وعندما سمعتُ أنك في طريقك إلى الشقة، فضلتُ أن أتوارى عن الأنظار. لم أرغب أن أتلقى محاضرة منك أيضًا.»

«نعم... بكل تأكيد! عندما سمعت من أختي أنك تتسكع من دون عمل، شعرت بالقلق أن يكون شخص غريبُ الأطوار قد ضحك على أختي واستغلها. لكن الآن تخبرني أنك خائن أيضًا. هذا شيء لا يمكن تبريره أبدًا.»

بدت سعيدة للغاية وهي تبدأ بمواجهته. إذن هذا هو الأمر: بمجرد أن تأكدت أنه «واحد منا»، **سمحت** لنفسها بأن تلقي عليه محاضرة بخصوص ما يجب وما لا يجب فعله.

كانت أكثر سعادة وهي تعتقد أن أختها إنسانٌ **طبيعيٌ**، حتى لو كانت تعاني من مشاكلَ كثيرةٍ، منها وهي تعتقد أن أختها غريبةُ الأطوار حتى وأن كانت كل أمور حياتها على ما يرام. بالنسبة إليها، **الطبيعي** - مهما كان فوضويًا - أمر يسهل فهمه بكثير.

«لأني أخت كيكو، على أن أقول لك إنني غاضبة منك حقًّا، شيراها.»

لاحظت أن طريقتها في الكلام قد تغيرت قليلًا. ما نوعية البشر الذين تحيط نفسها بهم هذه الأيام؟ مستعدة للرهان على أن طريقتها في الكلام الآن تشبه طريقتهم في الكلام.

«أعرف. أبحث عن عمل رغم أن الأمور تسير ببطء. وبالتأكيد نفكر في الزواج قريبًا.»

«مع وضعكما الحالي، لا داعي لأن أقول إن من غير الممكن إخبار والديّ بعلاقتكما.»

من الواضح أنه قد فاضَ الكيلُ بأختي. لم يعد يريد أي أحد أن أواصلَ الوجود كعاملة متجر بقالة. كانت أختي مسرورة عندما بدأت العمل في

المتجر لكن الآن تقول لي أن ترك المتجر هو الشيء الطبيعي الذي يجب أن أفعله. جففت دموعها لكن ظل أنفها يرشح وشفتها العليا مبللةً بالدموع. مع ذلك كانت مستغرقة للغاية في توبيخ شيراها لدرجة أنها لم تحاول أن تمسحها. حدقت نحوهما، وطبق حلوى الكاسترد الذي لم آكل سوى نصفه في يدي، عاجزة عن مسح أنف أختي.

***

في اليوم التالي، عدتُ من العمل لأجد حذاء أحمر أمام مدخلِ البيت. دلفتُ إلى الداخل وأنا أتساءل إذا كانت أختي قد عادت من جديد أو إذا كان شيراها قد جلب عشيقة معه إلى الشقة، لكني وجدت شيراها يجلس باحترام وظهره منتصب بينما يواجه امرأة شعرها بني، تجلس على الجهة المقابلة من الطاولة.

«هل يمكنني أن أسأل من أنتِ؟» سألتها.

التفتت المرأة بسرعة عند سماعها صوتي. كانت شابة، وتضع مكياجًا كثيفًا.

«هل أنتِ من يعيش معها الآن؟»

«نعم، ذلك صحيح.»

«أنا زوجة أخيه الأصغر. أتانا اتصال من زميله في السكن بعد أن هرب من دون أن يدفع الإيجار ثم لم يرد على أي من مكالماته. تجاهل مكالماتنا أيضًا. تصادف مروري بطوكيو من أجل اجتماع لم شمل الخريجين فدفعت الإيجار المتراكم على شيراها بالنيابة عن حماتي، واعتذرت للمالك عن أي مشكلة قد تسبب فيها. كنت متيقنة دائمًا أن الأمور ستصل إلى هذا الحد. هو شخصية

جشعة وغير مسئولة دائمًا، حين يتعلق الأمر بالمال. وليس لديه أيُّ استعداد للعمل. لكن أقسم أنني سأجعله يرد إليّ المال الذي دفعته.»

كانت توجد ورقة عليها ختم» **سندات الدين**» على الطاولة بينهما.

«احصل على وظيفة، ورد إليّ المال كاملًا! لا أفهم لماذا كان على أن أتكبد كل هذه المشقة من أجل شقيق زوجي.»

«أمم. كيف عرفت أنني هنا؟» قال شيراها بصوت منخفض.

إحدى الأسباب التي دفعت شيراها للاختباء في شقتي هو هروبه من دون أن يدفع إيجار السكن، أدركت ذلك الآن.

ضحكت بصوت مرتفع على سؤاله.

«لقد تأخرت من قبل في سداد الإيجار وأتيت إلينا كي تقترض المال، تتذكر ذلك؟ لذا أدركت أنها مسألة وقت قبل أن يتكرر الشيء نفسه. جعلت أخاك يضع برنامج تقفي المكان على هاتفك. هكذا عرفت أين أجدك. كل ما كان عليّ فعله هو الانتظار خارج البناية حتى تخرج أنت لتقوم ببعض التسوق.»

صدمتني حقيقة أنها لا تثق به ولو قليلًا.

«سأدفع لك... سأفعل حقًا.» قال وهو ينكسُ رأسَه.

«تقول لي أنك ستفعل، هل على أن أصدق كلامك؟ وما علاقتك بتلك المرأة؟» سألته وهي تلتفت لتنظر إليّ. «كيف تعيشان معًا إذا كنت لم تعثر على وظيفة بعد؟ إذا كنت تملك وقتًا لعلاقة غرامية، فبالتأكيد تملك وقتًا لكي تعمل، لذا اخرج واحصل على وظيفة حقيقية، أنت إنسان بالغ في النهاية.»

«نحن في علاقة جادة ونخطط للزواج. لقد قررنا أن تعمل هي، وأن

أتولى أنا الاعتناء بالبيت. بمجرد أن تستقر في وظيفتها، سأرد لك الدين من راتبها.»

أوه، إذن لديه حبيبة، فكرت لكن سرعان ما تذكرت حواره مع أختي بالأمس لأدرك أنه يشير إليّ!

«هل هذا حقيقي؟ ماذا تعملين؟» سألتني وهي ترمقني بنظرة مرتابة.

«أنا أعمل في متجر بقالة.» أجبتُ.

فغرت فاهها فشكلت عيناها ومنخاراها وفمها حرف (O). تذكرت رؤية وجه يحمل تعبيرًا مشابهًا لهذا التعبير من قبل عندما صاحت فيّ حرفيًا: «ماذا؟! ومع هذا تعيشان سويًا؟! بينما هذا الرجل لا يمتلك وظيفة حتى؟»

«أمم... نعم.»

«لا يمكنك أن تواصلي حياتك هكذا، تعرفين ذلك؟ ستستنزفين قواك! أعني انظري لا أقصد أن أكون فظة لكنك لست شابة بعد الآن، أليس كذلك؟ كيف لا تمتلكين وظيفة محترمة بعد؟»

«حسنًا... لقد قمت بعدد من مقابلات العمل، لكن كان متجر البقالة هو المكان الوحيد الذي تمكنت من العمل فيه.»

حدقت نحوي مذعورة.

«بطريقة ما، أنتما تناسبان بعضكما بعضًا حقًا، لكن... انظري، أعرف أنه ليس من شأني، لكن عليك أن تحصلي على وظيفة أفضل، أو أن تتزوجي. أحد الأمرين. أعني ما أقول حقًا. الأفضل أن تفعلي الأمرين معًا. وإلا سينتهي بك الأمر ميتة من الجوع. تعيشين على المحكّ حقًا.»

«أرى ذلك.»

«أقسم بحياتي أنني لا أعرف ماذا يعجبك في هذا الرجل، لكن لو كنت واقعة في حبه حقًا فإن هذا سبب آخر كي تبحثي عن وظيفة ملائمة. من المستحيل لاثنين مهمَّشين أن يعيشا معتمدين على راتب عاملة متجر. أنا جادة!!»

«تمام.»

«ألم يخبركما أحد بهذا من قبل؟ وماذا عن التأمين الصحي؟ هل أنتما مسجّلان فيه حتى؟ أنا أذكر ذلك من أجل مصلحتك كما تعرفين! لقد تقابلنا للتو؛ لذا ربما ليس من المفترض أن أقول كل هذا لكن من أجل مصلحتك، يجب أن تعيدي ترتيب نظام حياتك.»

رؤيتي لها وهي تميل مقتربة مني، وتتكبد مشقة الحديث معي بهذا اللين والصبر جعلني أشعر أنها أكثر لطفًا مما يظن شيراها.

«لقد ناقشنا كل هذا. سأهتم أنا بالبيت وأركز على تأسيس مشروعي على الإنترنت حتى ننجب. بمجرد أن ننجب طفلًا، سأخرج أنا للعمل وأصبح مصدر الدخل للعائلة.»

«توقف عن التفوه بهذا الهراء، واحصل على وظيفة حقيقية وحسب، تمام؟ حسنًا، الأمر يخصُّكما أنتما الاثنين، وأعتقد أنني لا يجب أن أحشر أنفي في شؤونكما الخاصة، لكن....»

«لقد طلبت منها أن تترك العمل في المتجر فورًا، وأن تركز في البحث عن وظيفة مناسبة. لقد اتخذنا هذا القرار بمفردنا بالفعل.»

ماذا يقول؟!! فكرت.

«أعتقد أن مجرد حقيقة أن لديك شريكة يعد إنجازًا.» قالت بنفور. «على أية حال، لا أريد أن أثقل عليكما لذا سأرحل الآن.»

نهضت.

«سأُطلِع أمك على أحداث اليوم بما في ذلك المبلغ الذي أقرضناه لك، لذا لا تعتقد للحظة أنك ستهرب من ذلك، تمام؟»

بهذه العبارة اختتمت حديثها، وغادرت.

أنصت شيراها باهتمام إلى صوت الباب يُغلَق، وخطوات أقدام زوجة شقيقه وهي تبتعد. بمجرد أن تأكد من رحيلها، أطلق صيحة ابتهاج.

«لقد فعلتها! لقد نجحت في التهرب منها! كل شيء على ما يرام في الوقت الراهن. لا تخافي. من المستحيل أن تحبلي، كما تعرفين، من المستحيل أن أمارس الجنس مع امرأة مثلك في نهاية المطاف.»

أمسك بكتفيّ متحمسًا.

«فوروكورا، أنت محظوظة، تعرفين ذلك. بفضلي، يمكنك أن تتحرري من قيود أنك عاملة متجر بقالة عذراء وعزباء، وأن تصبحي عضوًا متزوجًا في المجتمع. الجميع سيعتقد أنك امرأة مُحترمَة ونشطةٌ جنسيًا. هذه هي أكثر صورة لك ترضيهم. أليس ذلك رائعًا؟»

تورطي في مشاكل عائلة شيراها بعد عودتي من يوم عمل طويل جعلني مرهقة للغاية، ولم أكن في مزاج مناسب كي أستمع لثرثرة شيراها.

«أمم، هل يمكنني الاستحمام في الحمام اليوم؟»

أخرج المرتبة والوسائد من حوض الاستحمام، ولأول مرة منذ أسابيع استحممت في البيت بدلًا من الذهاب إلى الحمام العمومي. أثناء استحمامي، وقف شيراها في الخارج أمام باب الحمام، وواصل حديثه من دون توقف.

«أنت محظوظة جدًّا أنك قابلتني، فوروكورا. لو كنت قد واصلتِ حياتَك

مثلما كانت قبل ذلك، لانتهت حياتك وأنت وحيدة ومُعدَمة. من الأفضل بكثير لك أن تبقيني مختبئًا هنا للأبد!»

انحسر صوته تدريجيًا، وصار كل ما يمكنني سماعه هو صوت الماء ينساب مغطيًا على آخر أثر لصوت متجر البقالة في أذنيّ.

غسلت الصابون عن جسدي، وأغلقت الصنبور بإحكام. سمعت أذناي صوت الصمت لأول مرة منذ وقت طويل. حتى هذه اللحظة، كان صوت متجر البقالة يتردد في أذني من دون انقطاع. لكن اختفت تلك الأصوات الآن. بدا الصمت المنسي لأذني كموسيقى غريبة لم أسمعها من قبل أبدًا. بينما أقف ساكنة في مكاني أستمع للصمت، قطعه صوت صرير الأرضية تحت وطأة وزن شيراها.

***

حدث كل شيء بسرعة هائلة كما لو أن سنوات عملي الثمانية عشرة كانت محض وهم.

أتي يومي الأخير في متجر البقالة. ذهبت إلى المتجر في السادسة صباحًا. قضيت الوقت أشاهد شاشة المراقبة. كان توان قد تعود على العمل على ماكينة النقود، وصار بإمكانه تمرير جهاز الباركود على علب القهوة والساندويتشات بمهارة، ومنح إيصال بالمشتريات بيسر لأي زبون يطلبه منه.

من المفترض أن أبلغ المدير بنيتي لترك العمل قبلها بشهر لكن باعتبار الظروف الحالية، سمحوا لي بترك العمل بعد أسبوعين فقط. استرجعت في ذهني ردة فعل المدير حين أخبرته برغبتي في ترك العمل.

«حقًا؟ أخيرًا!! إذًا بدأ شيراها في التصرف كرجل، أليس كذلك؟»

كان ينزعج دائمًا حين يخبره أحدهم بنيته لترك العمل لأن ذلك يتسبب في عجز في العمالة، وكان يطالبه دائما بمساعدته في البحث عن بديل. لكن هذه المرة، بدا في غاية السعادة. ربما لم يعد هنالك مدير متجر بقالة حقيقي في أي مكان بعد الآن. أمامي كان يقف كائن بشري ذكر يرجو من دون تفكير أن يتكاثر فرد من نفس النوع كي يتعاظم النسل البشري.

لم يقتصر الأمر على المدير فقط، بل أن مسز إيزومي، التي كانت تنتهز كل فرصة للتعليق بسخط على انعدام المهنية التي يظهرها كل عامل يقرر ترك العمل فجأة، قد هنأتني أيضًا.

«لقد علمتُ بكل شيء! أنا سعيدة جدًّا من أجلك!»

خلعتُ زي العمل، وأزلتُ الشارة التي تحمل اسمي وسلمتها إلى المدير.

«حسنا إذًا، شكرًا لك على كل شيء.»

«سنفتقدك كثيرًا، مسز فوروكورا! شكرًا على تفانيك في العمل.»

لقد عملت هناك لمدة ثماني عشرة سنة لكن انتهى الأمر هكذا في لمح البصر. كانت الفتاة الجديدة القادمة من ميانمار التي حلت محلي، وبدأت العمل الأسبوع الماضي بالفعل، تقف أمام ماكينة النقود، وتمرر جهاز الباركود على المشتريات. ألقيت نظرة بطرف عيني على شاشة المراقبة، وفكرت أنني لن أظهر عليها مرة أخرى أبدًا.

«مسز فوروكورا، شكرًا لك حقًا على عملك هنا!»

أهدتني مسز إيزومي وسوجاوارا طقمًا فاخرًا من عصي الأكل وهما تخبراني: «هدية بمناسبة زفافك.». أهدتني فتيات المناوبة الليلية علبة من البسكويت (الكوكيز).

على مدار ثماني عشرة سنة شاهدت عددًا كبيرًا من البشر يغادرون المتجر. امتلأ الفراغ الذي تركه كل واحد منهم في غمضةِ عين. سيمتلئ الفراغ الذي سأتركه أنا بسرعة أيضًا، ومن الغد سيواصل متجر البقالة العمل كالعادة من دوني. لن ألمس أدوات المتجر التي أحفظها عن ظهر قلب مرة أخرى أبدًا - جهاز الباركود، آلة تسجيل طلبات الزبائن، الممسحة التي أنظف بها أرضية المتجر، الكحول الذي أطهِّر به يديَّ، منفضة الغبار.... إلخ. سأحتفظ بذكرى هذه الأشياء معي إلى الأبد.

«لكن رغم كل هذا، فإنه رحيل مُفرحٌ!»

«هو كذلك.» أومأت مسز إيزومي وسوجاوارا. «فلتأتي لزيارتنا. لا تنسينا!»

«أجل... فلتأتي لزيارتنا كزبونة في أي وقت. أحضري شيراها معك. سنقدم لكما الهوت دوج بالمجان.»

ابتسمت مسز إيزومي وسوجاوارا، وتمنيتا لي حظًا سعيدًا.

كنت آخذ الشكل الذي تخيلته أدمغتهم لي كإنسان طبيعي، تهنئتهم لي جعلتني أشعر بغرابة ما، لكنني اكتفيت بقول: «شكرًا لكم.»

ودعت فتيات المناوبة الليلية، وغادرت المتجر. لم يحل الظلام بعد. كان هنالك قدر من الضوء لكن كان نور المتجر أشد قوة من نور السماء. بدا المتجر كحوض سمك ضخم أبيض ومتلألئ. لم أستطع أن أتخيل ماذا سأصبح الآن بعد أن لم أعد عاملة متجر بقالة.

انحنيت للمتجر مرة أخيرة ثم بدأت أمشي نحو محطة المترو.

***

عندما عدتُ إلى البيت وجدتُ شيراها في انتظاري على أحرِ من الجمرِ.

عادةً أكون مشغولة بالتحضير للعمل في اليوم التالي لهذا أحرص على الاهتمام باحتياجاتي الجسدية من الطعام والنوم. كان جسدي ينتمي إلى متجر البقالة حتى في الوقت الذي كنت لا أعمل فيه. لكن الآن بعد أن تحررت من هذه الالتزامات، لم أعد أعرف ماذا يجب أن أفعل.

كان شيراها يتفقد إعلانات الوظائف على الإنترنت بمعنويات مرتفعة. كانت استمارات التقدم للعمل مبعثرة فوق الطاولة.

«الكثير من الوظائف تضع حدًا عمريًا لكن بعضها لا تشترط عمرًا معينًا إذا كنت ترغبين في الاطلاع عليها. كنت أكره النظر في إعلانات الوظائف لكن بما أنني لست من يجب عليه العمل، فأني أجد الأمر ممتعًا حقًا هذه المرة.»

اجتاحني شعورٌ بالاكتئابِ. نظرتُ إلى الساعة: السابعة مساء. كان جسدي متصلًا دائمًا بمتجرِ البقالة حتى خارج وقت العمل. في تلك اللحظة يحين وقت إعادة ملء رفوف المتجر بعلب المشروبات. ثم يأتي موعد وصول الطلبيات المسائية كي يبدأ عمال المناوبة المسائية في تفقدها والتأكد من مطابقتها للأوراق. ثم سيحل موعدُ مسحِ أرضيةِ المتجر. في كل مرة ألقي نظرةً على الساعة، أتصور ماذا يحدث في المتجر في نفس هذا الوقت. في هذه اللحظة ستبدأ سواجاشي من المناوبة الليلية في تصميم الإعلان الدعائي لمنتجات الأسبوع القادم الجديدة، بينما تضع ماكيمورا علب الشعيرية (النودلز) على الرفوف الخاصة بها.

لكن الآن شعرت أنني قد جُرِفتُ خارجَ تيارِ الزمنِ. كان ثمة أصواتٌ عديدةٌ في الشقة، بدءًا من صوت شيراها حتى الأزيز الصادر عن الثلاجة لكن لم تكن أذني تنصتُ سوى للصمت المطبقِ داخلي. غادرَ جسدَي صوتُ

متجرِ البقالة الذي كان يملؤني حتى يفيض من قبل. لقد نبذني العالمُ.

«بطبيعة الحال، عملك في متجر بقالة آخر لا يكفي لدعم موقفي. سيوجهون سهامَ نقدِهم نحوي أنا فقط لو عملتِ في متجر بقالة وظللت أنا عاطلًا. لم يتخلص المجتمعُ من قيود العصر الحجري بعد؛ سيلومون الرجل دائمًا. لو أمكنِكِ فقط أن تحصلي على وظيفة ملائمة، فوروكورا، سيكفون عن مهاجمتي وسيكون ذلك جيدًا بالنسبة إليك أنت أيضًا. سنضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ.»

«أمم. ليس لدي شهية لأكل أي شيء اليوم. هل يمكنك أن تخرج وتجلب لنفسك شيئًا لتأكله؟»

«ماذا؟ أوه، حسنًا.»

تذمر معترضًا قبل أن تُسكِتَه ورقة الألف ين التي منحته إياها كي يشتري الطعام.

في تلك الليلة خلدتُ إلى الفراش في الموعد المعتاد لكن عجزتُ عن النوم، فنهضتُ ثانية وأنا لا أزال أرتدي البيجاما. ذهبتُ إلى الشرفة. قبل هذه الليلة كنت دائمًا أحرص على الحصول على قسطٍ كافٍ من النوم قبل العمل في اليوم التالي. كل ما كان يلزمني كي أستغرقَ في النوم هو تذكير نفسي بضرورةِ الحفاظِ على طاقتي من أجل متجر البقالة لكن الآن لا أعرف حتى لماذا أحتاج إلى النوم. أنشر ملابسي المغسولة في الشرفة لذا كانت تسود الجو رائحةٌ عطنةٌ، وتجمع الفطرُ على زجاجِ النافذةِ. رغم هذه الرائحة، جلستُ هناك غير عابئة إذا اتسخت بيجامتي أم لا. نظرت من خلال نافذة الشرفة نحو الساعة داخل الشقة: الثالثة صباحًا. موعد استراحة المناوبة الليلية. سيستغل دات خان وشينوزاكي الطالب الجامعي الذي التحق بالعمل

الأسبوع الماضي، ويملك خبرة من عمله في متجر سابق، هذه الاستراحة لإعادة تعبئة الثلاجة في الممر.

مضى وقتٌ طويلٌ منذ آخر مرة سهرتُ فيها حتى هذه الساعة. تفحصتُ جسمي. أظافري مقصوصةٌ وفقًا لقواعدِ المتجر. كنت مواظبة على الحفاظ على شعري نظيفًا ولم أصبغه أبدًا. هنالك ندبة صغيرة على ظهر يدي نتيجة حرقي ليدي أثناء قلي كروكيت البطاطس في المتجر منذ ثلاثة أيام.

الصيف يقتربُ لكن كان الجو لا يزال باردًا نسبيًا في الشرفة. لم أشعر برغبة في العودة إلى الداخل. مكثتُ في الشرفة وأنا أحدق بانشداه نحو السماء النيلية اللون.

***

استيقظتُ من نومٍ متقطعٍ وجسدي يتقلب في الحرارة المخيمة على الجو. فتحت عينيّ جزئيًا بينما أرقد فوق الفوتون. لم أملك أي فكرة عن الوقت أو حتى في أي يوم في الأسبوع كنت. حركت يدي حول وسادتي بحثًا عن هاتفي المحمول كي أتفقد الوقت: الثانية. نهضت بصعوبة من فوق الفراش عاجزة عن الإدراك - في حالتي الذهنية المشوشة تلك - إذا كان الوقت نهارًا أم ليلًا. عندما رأيت ضوء النهار المتسلل من خلال الستارة، استوعبت أخيرًا أنها الثانية بعد الظهر. تفقدت التاريخ فأدركت أنه قد مر حوالي أسبوعين منذ تركي للعمل في المتجر. بدا كأن دهرًا طويلًا قد مضى على ذلك. لم يكن شيراها في البيت. ربما خرج لشراء الطعام. كانت بقايا علب الشعيرية (النودلز) التي أكلناها بالأمس فوق الطاولة القابلة للطي التي تُركت في مكانها.

منذ تركي للعمل، لم أعد أعرف متى يجب أن أستيقظ في الصباح. بِتُ أنام متى شعرت بالنعاس، وآكلُ حين أستيقظ. لا أفعل أي شيء طوال اليوم سوى ملء استمارات التقدم للوظائف التي رتبها شيراها حسب الأولوية. لم أعد أعرف ما النظام الذي يجب أن أتبعه في حياتي. حتى هذه اللحظة كان جسدي ينتمي إلى متجر البقالة. النوم، والحفاظ على لياقتي البدنية وأكل طعام مغذٍّ، كل هذا كان جزءًا من وظيفتي كعاملة متجر بقالة.

لا يزال شيراها ينام في حوض الاستحمام. أثناء اليوم يأتي إلى حجرة المعيشة لتناول الطعام ولتصفح إعلانات الوظائف. بدا مفعمًا بالنشاط أكثر مما كان عليه أثناء عملي. الآن أقضي النهار والمساء كله في فراشي داخل حجرتي الصغيرة، وأخرج منها فقط حين يقرصني الجوع من دون أن أهتم بطي المرتبة.

شعرت بالعطش ففتحت الصنبور بآلية، وملأت كأسًا بالماء ثم تجرعته على مرة واحدة. تذكرت فجأة أنني سمعت مرة أن الماء في جسم الإنسان يُستبدل كل أسبوعين بماء جديد. خطر ببالي أن الماء الذي كنت أشتريه لأشربه كل صباح في متجر البقالة قد نفذ من جسمي. لم تعد النداوة على جلدي وفي الغشاء الداخلي لجفوني مصنوعة من مياه متجر البقالة. نبتت شعيرات سوداء على أصابعي ويدي الممسكة بالكأس وعلى ذراعي أيضًا. حتى الآن كنت حريصة على مظهري الشخصي من أجل متجر البقالة. لكن الآن لم أعد أشعر بحاجتي لإزالة شعري الزائد. نظرت في المرآة الموجودة في حجرة المعيشة فلمحت شاربًا خفيفًا أسفل أنفي أيضًا.

مرة كل ثلاثة أيام، تحت إصرار شيراها، أذهب بفتور للاستحمام في الحمام العمومي الذي كنت استحم فيه كل يوم أثناء عملي في المتجر. في السابق كنت أحكم على كل شيء إذا كان شيئًا مناسبًا لعملي في المتجر أم لا لكن الآن

فقدت البوصلة والمعيار. لم يعد هنالك أي شيء يرشدني إذا كان الفعل الذي أقدم عليه عقلانيًا أم لا. لابد أنني كنت أتبع منطقًا ما في حكمي على الأمور قبل أن أصبح عاملة متجر بقالة لكني نسيت هذه المعايير التي كنت أتبعها في ذلك الوقت الذي يبدو بعيدًا جدًّا كأنه لم يكن.

فجأة سمعت صوت أزيز إلكتروني فالتفت لأرى هاتف شيراها المحمول الملقى على حصيرة التاتامي يرن. لابد أنه قد نسيه هنا عندما خرج. فكرت أن أدعه يرن حتى يتوقف لكنه أبى السكوت. ألقيت نظرة على الشاشة متسائلة إذا كان الاتصال طارئًا. قرأت الكلمات «**زوجة من الجحيم**». أتاني إلهامٌ ما فضغطت على أثره زر «**الرد**». أدركت من اللحظة الأولى أن الصوت على الطرف الآخر للخط هو صوت زوجة شقيق شيراها.

«كم مرة سأخبرك،» صاحت. «أنني أعرف مكانك وأنني سأتصل بك متى رغبت في ذلك؟!»

«... مرحبًا، أنا فوروكورا.»

عندما أدركت أنني من أحدثها، هدأت فورًا وقالت برقة: «أوه، هذه أنتِ، أليس كذلك؟»

«شيراها غير موجود الآن. خرج لشراء بعض الطعام غالبًا. أنا متأكدة أنه سيعود قريبًا.»

«تمام. هل يمكنك أن تبلغيه برسالة عن الدين الذي عليه لأخي؟ لم يتصل شيراها بي منذ أن دفع أخي له ثلاثة آلالاف ين الأسبوع الماضي. ماذا يظن بحق الجحيم؟!! ثلاثة آلالاف ين! مبلغ يكاد يكفي لتغطية ثمن غداء لفردين. هل يحاول أن يتجنبني؟»

«أوه، أنا آسفة.» تمتمتُ معتذرة.

«لا مشكلة. هل يمكنك إخباره أنني أملك توقيعه على إيصال الدين وسأقاضيه إذا لزم الأمر!! رجاء أخبريه بذلك، تمام؟» قالت بضيقٍ واضحٍ.

«نعم، سأخبره بمجرد عودته.»

«تأكدي من فعل ذلك! أقسم أن هذا الرجل يعبد المال.»

سمعت صوت بكاء طفل في الخلفية. في تلك اللحظة خطر ببالي فجأة أنه في ظل عدم وجود كتيب مثل كتيب قواعد متجر البقالة لاتباعه في حياتي، ربما يجب على اتباع غريزتي الحيوانية كمعيار أبني عليه أحكامي. أنا حيوان من الجنس البشري. ربما إنجاب الأطفال لزيادة النسل البشري هو الطريق الصحيح الذي يجب على أن أسلكه.

«أمم، هل يمكنني أن أسألك سؤالًا؟ هل إنجاب الأطفال أمرٌ جيدٌ للبشرية؟»

«ماذا؟!!» استحوذت عليها المفاجأة على الجانب الآخر من الخط؛ لذا فكرت أن أشرح قصدي أكثر.

«أعني، في النهاية نحن حيوانات؛ لذا أليس من الأفضل لجنسنا أن يتكاثر؟ هل تعتقدين أن من الأفضل لي وشيراها أن نتزاوج بسرعة ونؤدي واجبنا في زيادة النسل البشري؟»

ظلت صامتة تمامًا لبرهة لدرجة أنني ظننتُ أنها قد أغلقت الخط لكن سمعت صوت تنهيدة طويلة وعميقة كدت معها أن أشعر بنفسها الدافئ يتناثر عبر سماعة الهاتف.

«توقفي! هل تعتقدين أن بإمكان عاملة متجر وعاطل عديم الفائدة أن يربيا أطفالًا؟ رجاء لا تفكري في الأمر حتى. ستصنعان معروفًا لنا جميعًا بعدم توريث جيناتكما لأحد. هذا هو أفضل إسهام يمكنكما تقديمه للبشرية.»

«أوه، حقًا؟»

«احتفظا بجيناتكما العفنة لنفسيكما وخذاها معكما إلى الجنة أو الجحيم عندما تموتان من دون أن تتركا أي أثر لها هنا على الأرض. أنا جادة فيما أقول.»

«أرى ذلك.» قلتُ وأنا أومئُ لنفسي معجبة بتفكيرها العقلاني.

«أقسم أن الحديث معكما يصيبني بالدوار. بالإضافة إلى أنه مضيعة للوقت؛ لذا سأقول وداعًا الآن. أوه، وتأكدي من أن تخبريه بخصوص المال، تمام؟» قالت قبل أن تغلق الخط.

إذًا من الواضح أن من الأفضل للجنس البشري ألا أتزاوج أنا وشيراها. نظرًا لأنني لم أمارس الجنس في حياتي أبدًا ومجرد التفكير فيه أمر مريع، شعرت بالارتياح بخصوص الأمر. سأحمل جيناتي معي بحرص إلى قبري وسأتأكد ألا أتسرع وأخلف شيئًا منها ورائي. سأتخلص منها بالشكل الصحيح عند موتي. حسمت أمري بشأن هذا الموضوع لكن في نفس الوقت تركني قراري هذا وأنا أشعر بشيء من عدم اليقين. فهمت النهاية التي ستؤول إليها حياتي لكن كيف سأقضي ما تبقى من حياتي حتى تلك النهاية؟!

سمعت صوت الباب يُفتح ثم دخل شيراها. كان يحمل كيسًا بلاستيكيًا مطبوعًا عليه علامة متجر قريب من هنا. الآن بعد أن اختل روتيني اليومي، لم أعد أسلق الخضراوات من أجل إطعامنا، وبات شيراها يشتري وجبات مجمدة من ذلك المتجر الرخيص.

«أوه، لقد استيقظتِ؟»

رغم أننا نعيش معًا في هذه الشقة الصغيرة، إلا أنه قد مضى وقت طويل منذ آخر مرة جلسنا لتناول الغداء سويًا. كان دائمًا ما يتبقى شيء من الأرز في

الحلة من اليوم السابق. باتت حياتي تدور حول الاستيقاظ وحشر حفنة من الأرز داخل فمي قبل أن أعود إلى حجرتي وأنام من جديد. مصادفة وجودنا معًا في حجرة المعيشة جعلتنا بشكل ما ننتهي وقد جلسنا إلى الطاولة نأكل وجبة الغداء سويًا. سخن شيراها كفتة وصدور دجاج مجمدة ثم وضعها في الأطباق. أكلت بعضًا منها من دون أن أتفوه بأي كلمة. لم أفهم لماذا على أن أتغذى. مضغت الأرز والكفتة داخل فمي لكن لم أستطع حمل نفسي على بلع الطعام.

***

اليوم سأذهب لأول مقابلة عمل. كانت وظيفة مؤقتة من دون تثبيت لكن بالنسبة لشخص مثلي - امرأة في السادسة والثلاثين من عمرها لم تعمل طوال حياتها سوى في متجر البقالة - كانت قدرتي على الحصول على هذه المقابلة بمثابة معجزة، قال شيراها لي مبتهجًا. مر حوالي شهر على استقالتي من المتجر. كنت أرتدي بدلة لم أمسسها منذ آخر مرة قمت بغسلها منذ أكثر من عشر سنوات. عقصت شعري للوراء. كانت أول مرة أغادر فيها الشقة منذ مدة طويلة أيضًا. المال القليل الذي أدخرته من عملي في المتجر شارف على الانتهاء.

«حسنًا، فوروكورا دعينا ننطلق.» قال شيراها الذي رافقني إلى المقابلة، وأصر على انتظاري في الخارج ريثما أنتهي من المقابلة.

خرجنا من الشقة إلى جو الصيف الحار والرطب، واتجهنا نحو المحطة. كانت أول مرة استقل فيها القطار منذ مدة طويلة.

«لقد وصلنا مبكرين جدًا. لا يزال أكثر من ساعة على الموعد.» قال شيراها عند وصولنا. «سأذهب للتبول وأعود حالًا. انتظريني هنا.» قال ثم

سار مبتعدًا.

تساءلت إذا كان هنالك مرحاض عمومي قريب من هنا لكن لمحته يدخل إلى متجر بقالة. لابد من وجود مرحاض بداخله، فكرت في ذلك قبل أن أهرول خلفه.

بينما ينفتح الباب الآلي، وصلت إلى أذنيّ أصواتٌ مألوفة.

«إيراشَيمسِي! صباح الخير!»

هتفت فتاة تقف خلف ماكينة النقود لحظة دخولي. كان هنالك صف من الزبائن ينتظر دوره لدفع الحساب. نظرت في ساعتي فوجدت أن الوقت يقترب من الظهر. ساعة ذروة الغداء قد بدأت للتو. كان هنالك شابتان وراء منضدة الحساب، ترتدي أحداهما شارة مكتوب عليها «**تحت التمرين**». كانت كلتاهما تقومان بتمرير جهاز الباركود على السلع والضغط بعصبية على أزرار ماكينة النقود. كان هذا حيًا تجاريًا لأن كل الزبائن أما رجالًا يرتدون سترات عمل أو نساء شابات يبدو من مظهرهن أنهن يعملن مساعدات في مكتب.

ثم تسلل صوت المتجر إليّ. تردد كل صوت من أصوات المتجر حاملًا معه معنى ودلالة ما. ذبذباتها تخاطب كل خلية من خلايا جسدي كالموسيقى في أذني. عرفت غريزيًا ماذا يحتاج المتجر من دون الحاجة إلى التفكير حتى.

صُعِقتُ عندما رأيت ثلاجة العرض يعلوها إعلان: خصم ثلاثين ين على كل أنواع الباستا! بينما أطباق الباستا مكدسة، ومختلطة بأطباق الياكيسوبا[1] والأوكونومياكي[2]، وغير بارزة. لن ينجح الأمر، فكرت قبل أن أحركها إلى

---

(1) طبق من المعكرونة اليابانية والتي تصنع من الطحين على الطريقة الصينية وتشوى وتتبل.

(2) أكلة يابانية شهيرة تشبه البيتزا أو البان كيك وتتكون من الخضراوات واللحوم والمأكولات البحرية مع خليط من دقيق القمح.

بقعة ظاهرة أكثر بالقرب من الشعيرية الباردة المعدة على الطريقة الكورية. حدقت زبونة نحوي في ارتياب لكن حين نظرت إليها وقلت «إيراشَيمسِي! صباح الخير» بدا عليها الارتياح وقد ظنت أنني عاملة في المتجر ثم انحنت والتقطت مجموعة من باستا المينتايكو[1] كنت قد أعدت وضعها في مكان واضح منذ ثوان قليلة. رائع، قلت لنفسي ثم التفت لأتفقد قسم الشوكولاتة. أخرجت هاتفي المحمول في عجالة وألقيت نظرة على التاريخ. اليوم هو الثلاثاء، يوم وصول السلع الجديدة. كيف ينسى عمال المتجر شيئًا كهذا، أهم يوم في الأسبوع بالنسبة إلى متجر البقالة؟! كدت أصرخ عندما لم أر سوى صفٍّ واحد من الشوكولاتة الجديدة في رفٍّ سفلي بعيدًا عن متناول الزبائن. هذا أمر لا يمكن السكوت عليه!! هذه ليست الطريقة التي تُعرض بها نكهة الشوكولاتة البيضاء الموسمية المحدودة الإنتاج من نوعية الشوكولاتة نفسها التي كانت تتصدر المبيعات منذ ستة شهور فقط. قمت بإعادة ترتيب الرفوف بسرعة، وضعت الحلوى غير الرائجة في صفٍّ واحد لأخلق مساحة في الرف العلوي البارز كي أضع فيه ثلاثة صفوف من النوع الجديد.

ثم غيرت مكان لافتة «**السلع الجديدة**» كي تجذب الانتباه إليها. لاحظت أن إحدى الشابتين على ماكينة النقود ترمقني بنظرات ريبة. كان يمكنها رؤية ما أفعله لكنها كانت مشغولة بطابور الزبائن، غير قادرة على ترك موقعها. تظاهرت بالإشارة إلى شارة وهمية على صدري وأنا أهتف «صباح الخير!» حريصة ألا يعلو صوتي لدرجة تزعج الزبائن. بدا أن ذلك قد طمأنها فقد انحنت قليلًا بجسدها ثم عادت إلى العمل على ماكينة النقود. كنت أرتدي بدلة لذا ربما ظنت أنني من الإدارة المركزية للمتجر. فكرت أن خداعي لها بسهولة يعكس درجة ضعيفة من الحماية داخل المتجر ماذا لو كنت محتالة

---

(1) المينتايكو: بطارخ السمك المنقوعة في صوص الفلفل الحار.

واقتحمت الخزنة في الحجرة الخلفية أو سرقت نقودًا من ماكينة النقود؟ كنت أفكر في طريقة لتحذيرها بخصوص هذه الحقيقة حين سمعت أحدهم يقول:

«هاي، انظري! هنالك نوع جديد من هذه الشوكولاتة.»

نظرت حولي لأجد امرأتين تتناولان حفنة من الشوكولاتة الجديدة التي فرغتُ من إعادة ترتيبها منذ قليل. «لقد رأيت إعلانًا عنها في التلفاز هذا الصباح. يجب أن أجربها!»

متجر البقالة ليس مجرد مكان يرتاده الزبائن لشراء حاجياتهم، بل يجب أن يكون مكانًا يمكنهم الاستمتاع بوقتهم فيه ويجدون لذةً في اكتشاف أشياء جديدة يحبونها، أومأت راضية عن نفسي ثم مشيت بخفة في أرجاء المتجر متفقدة رفوف العرض. كان يومًا حارًّا لكن رغم هذا كانت كمية المياه المعدنية المعروضة في الثلاجة قليلة. ولم يكن هنالك سوى صندوق يتيم من شاي الشعير موضوعًا في مكان غير واضح مع أنه يُباع بمعدل ممتاز في مثل هذا الطقس الحار. يمكنني أن أسمع صوت المتجر يهمس لي بما يريده وكيف يريده. فهمت قصده تمامًا.

أخيرًا خف زحام طابور الزبائن عند منضدة الحساب، فهرولت تجاهي الفتاة التي انحنت لي منذ لحظات. «واو! هذا رائع. كأنه سحر!» قالت لي وهي تحدق في رفوف عرض أكياس رقائق البطاطس التي قمت بترتيبها منذ لحظات.

«إحدى العاملات بدوام جزئي تغيبت اليوم. حاولت التواصل مع المدير لكن لم أستطع الوصول إليه. كدت أجن من وجودي بمفردي مع عاملة جديدة لا تزال تحت التمرين....»

«إذن هذا ما حدث؟ لكن مما رأيت، يمكنني أن أؤكد أنك تبلين بلاء

حسنًا.» قلتُ. «أنت مهذبة مع الزبائن وفعلت كل شيء بشكل سليم عند ماكينة النقود، بمجرد انتهاء ذروة الغداء، تأكدي من وضع بعض المشروبات الباردة في الثلاجة. وفي هذا الجو شديد الحرارة، من الأفضل أن تعيدي تنظيم ثلاجة الآيس كريم. يزيد الإقبال على عصا الآيس كريم بشكل كبير في مثل هذا الطقس؛ لذا عليك أن تضعي كمية إضافية منها في الثلاجة. رف النثريات متربٌ قليلًا، ازيحي كل شيء من فوقه، ونظفيه جيداً.»

لا أستطيع التوقف عن سماع المتجر، وهو يخبرني الكيفية التي يريد أن يكون عليها، وما يحتاجه. كان كل شيء يتدفق داخلي. لم أكن أنا من يتحدث حقًّا، بل المتجر. كنت فقط الوسيط الذي يتحدث من خلاله.

«نعم، سأفعل ذلك.» قالت الفتاة بصوت شديد الثقة.

«والباب الآلي مغطى ببصمات الأصابع. يمكن رؤيتها بوضوح لذا من الأفضل أن تمسحيه أيضًا، لاحظت أيضًا وجود الكثير من السيدات؛ لذا احرصي على وضع تشكيلة أكثر تنوعًا من أطباق حساء الشعيرية (النودلز). رجاء أخبري المدير بذلك. و.....»

كنت لا أزال أنقل كلمات المتجر إلى عاملة المتجر عندما صاح شخص ما: «ماذا يحدث هنا بحق الجحيم؟» ثم قبض أحدهم على معصمي. كان شيراها الذي خرج للتو من الحمام.

«استميحك عذرًا لكن ما هي مشكلتك؟» أجبت تلقائيًا كما لو كنت أخاطب زبونًا.

«توقفي عن هذه السخافة!» صاح وهو يجرّني خارج المتجر إلى الشارع. «هل أنت مجنونة؟! ماذا تظنين أنك تفعلين؟»

«أنصت إلى صوت متجر البقالة.»

تجعد جلد وجهه معبِّرًا عن اشمئزاز واضح لكن لم أتراجع. «لن يتوقف صوت المتجر عن التدفق من خلالي. لقد ولدت كي أسمع هذا الصوت.»

«ما هذا؟.....» بدأ الرعب يظهر على وجهه.

«أدرك الآن...» تابعت بعناد: «أنني لست مجرد إنسان عادي. أنا عاملة متجر بقالة. حتى لو كان هذا يعني أنني غير طبيعية، ولم أعد قادرة على الحياة وسأسقط ميتة في التو واللحظة، لا يمكنني الهروب من تلك الحقيقة، كل خلية من خلايا جسدي مخلوقة لخدمة متجر البقالة.»

حافظ وجهه على تجهمه بينما يقبض على معصمي بقوة. بدا أنه لا يزال مصممًا على أخذي إلى مقابلة العمل.

«لقد فقدتِ عقلك. لن تسمح عقلية القرية المسيطرة على المجتمع لكائن كهذا أن يتواجد في العالم. يعارض ذلك كل القواعد المتعارف عليها. سيضطهدك الجميع وستعيشين وحيدة ومنبوذة، من الأفضل لك بكثير أن تعملي كي تدعميني، سيتنفس الجميع بسهولة إذا فعلت ذلك، سيشعرون بالرضا، سيشعرون حتى بالسعادة من أجلك.»

«لا، لا يمكنني أن أذهب معك. اعتبرني حيوانًا. حيوان متجر بقالة. لا يمكنني أن أخون غريزتي.»

«لن يسمحوا لك أن تفعلي ذلك!!»

اعتدلت في وقفتي، وواجهته مباشرة، وقلت بالطريقة نفسها التي أردد بها قَسَمَ المتجر في الجلسة الصباحية قبل بدء يوم عمل: «المسألة ليست سماحهم لي من عدمه، هذه هي سجيتي. بالنسبة **لأنا** الإنسان المكبل بقيود المجتمع، ربما من المريح أن تتواجد في حياتي، شيراها، كي أتجنب ضغوط عائلتي وأصدقائي. لكن **أنا** الحيوان البوهيمية، عاملة متجر البقالة،

لا أحتاجك مطلقًا.»

«كنت أضيع وقتي بالحديث معه. يجب أن أسترجع هيئتي من أجل صالح المتجر. على أن أعيد تشكيل جسمي كي أتمكن من السير بخفة أكبر وبخطوات أدق كي أعيد ملء الثلاجة بالمشروبات ولأنظف الأرضية، ولأنفذ طلبات المتجر على أكمل وجه.»

«هذا بشع! أنت لست إنسانًا!» انفجر قائلًا.

هذا ما كنت أحاول أن أخبرك به طوال الوقت! فكرت. تمكنت أخيرًا من انتزاع يدي من قبضته، وألصقتها بصدري. تلك اليد ثمينة لإعطاء الزبائن باقي الحساب، وللف طلبات الطعام. بدت لزجة بشكل مقزز بفعل عرق شيراها الذي التصق بها. يجب أن أغسلها في أقرب فرصة ممكنة. ستكون فظاظة مني تجاه الزبائن أن أتركها هكذا!

«ستندمين على ذلك! تذكري كلماتي جيّدًا!» صاح شيراها وهو يسير بمفرده عائدًا إلى المحطة.

أخرجت هاتفي المحمول من حقيبتي. أولًا أحتاج للاتصال بالشركة التي كنت سأجري المقابلة معها كي أخبرهم أنني لن أحضر لأنني عاملة متجر بقالة، ولا يمكنني أن أكون أي شيء آخر. ثم عليَّ أن أعثر على متجر بقالة جديد لأبدأ العمل فيه.

لمحت انعكاسي على زجاج متجر البقالة الذي خرجت منه للتو. يداي، قدماي - كلها - خُلِقت من أجل خدمة المتجر فقط! لأول مرة، أمكنني التفكير في ذاتي المنعكسة على النافذة ككائن له معنى وهدف.

«إيراشَيمسِي! صباح الخير.» همست.

فكرت في نافذة المستشفى التي رأيت من خلالها وجه ابن أختي الوليد. من خلال انعكاسي تردد صوت واضح يشبه صوتي. شعرت بالإثارة تتخلل كل خلية من خلايا جسدي، وتنفذ خلال مسام جلدي. كانت تلك الخلايا تستجيب في تناغم دقيق للموسيقى التي يتردد صداها على الجانب الآخر من النافذة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عاملة متجر البقالة

رواية تحكي عن قصة حب ساحرة و غريبة بين إنسانة مهمشة و متجر بقالة. تستخدم الكاتبة عالم المتجر ببراعة كمجاز عن المجتمع ككل. تثير الرواية في القارئ الكثير من الأسئلة مع ذلك تحافظ على جوها الهادئ و الحالم. ستذكرك كيكو بشخصيات سينمائية لا تنسى مثل فورست جامب و إميلي بولان و ستجد نفسك متعاطفاً لا إرادياً مع قصة الحب الفريدة بين كيكو و متجر البقالة.

نيويوركر

كوميديا سوداء، تعري بشكل فاضح مساوئ المجتمع المعاصر، و تناقش بطريقة مبتكرة أفكاراً مثل العزلة و الرأسمالية و الهوية و محاولة الانسجام مع القطيع حين تكون إنساناً مختلفاً. جميعنا ارتدنا متجر البقالة هذا و نعرف شعورَ بطلة الرواية جيداً سواء كنا في اليابان أو في أي مكان.

فايبت ثانه نغويين

الفائز بجائزة البوليتزر عن رواية المتعاطف

مكتبة
t.me/soramnqraa

أثر